مجلة كليّة

الدعوة الإسلامية

العدد الرابع عشر
1997

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة تصدر سنويا

1427 من ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم 1997 أفرنجي

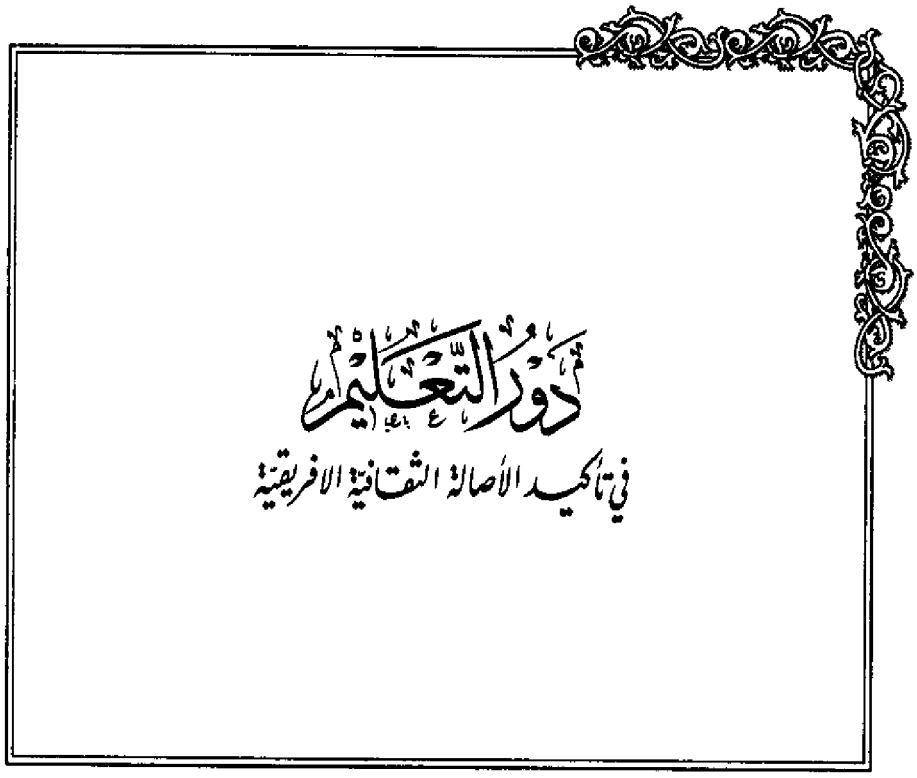

د. عمر محمد التومي الشيباني

مقدمـــة:

لقد ظلّت القارة الإفريقية قروناً عديدة، فاقدة لوعيها بذاتها وهويتها الثقافية والقومية ولوحدتها، بسبب نقص التعليم فيها وما ترتب عن هذا النقص من تخلّف اقتصادي واجتماعي، مما يسر استعمارها، وجعلها لقمة سائغة للغزاة الغربيين المستعمرين، عندما بدأت حركة الاستعمار الغربي الحديث، مدفوعة بدافع الجشع، والرغبة في توسيع رقعة نفوذها، وفي الحصول على ثروات وخامات إفريقية، وفي تسخير الطاقات البشرية الإفريقية في خدمة التنمية الزراعية والصناعية الأوروبية. وما كان للمستعمرين الأوروبيين على اختلاف أوطانهم لينجحوا في استعمارهم لمعظم أجزاء القارة الإفريقية، لو كانت إفريقية قوية مادياً ومعنوياً، فضعف إفريقية المادي والمعنوي في تلك الأزمنة التي

سبقت عهد الاستعمار جعلها مستعدة ومهيّأة لما تعرضت له من استعمار. وإذا كان ضعفها المادي في ذلك الوقت يتمثل في تخلّفها العلمي والتقني والصناعي والاقتصادي، وفي قلّة زادها من وسائل القتال والدفاع الحديثة التي واجهها بها الغزاة الغربيون المستعمرون، فإنّ ضعفها المعنوي كان يتمثل في تخلفها الثقافي والحضاري والاجتماعي وفي عدم وحدتها، وفي قلة وعيها بذاتيتها، وهويتها، وشخصيتها المتميزة، وفي ضعف استعدادها النفسي لمواجهة الخطر الخارجي، وتحدي الأعداء الطامعين في خيراتها وثرواتها المادية والبشرية على السواء. ولعل النوع الثاني من الضعف ـ وهو الضعف المعنوي ـ كان أكثر خطورة وأكثر إعاقة لها في مواجهة ما تعرضت له من غزو وأخطار مواجهة إيجابية ناجحة.

ولكن من حسن الحظ أن حالة التخلّف الثقافي والحضاري وفقدان أو ضعف الوعي الوطني والقومي تلك ما لبثت أن تغيّرت بعض الشيء في أواخر عهد الاستعمار، وذلك بفعل التعليم الذي أتيحت فرصته لعدد قليل من أفراد الشعوب الإفريقية، وبفعل ما أُتيح لبعض الأفارقة من التفاعل مع عناصر الحضارة الحديثة والاحتكاك بها في الداخل والخارج.

ونتيجة لهذا التغيّر الثقافي والحضاري والاجتماعي في إفريقية بدأت اليقظة الحديثة فيها، وبدأ معها الوعي الوطني والقومي، وبدأت المقاومة للمستعمرين، وأخذت تتزايد الحركات والثورات الوطنية والنزعات الاستقلالية. وقد انتهت هذه اليقظة الإفريقية ـ بعد صراع مرير وجهاد طويل وتضحيات جمة ـ بدحر الاستعمار المباشر وانحسار ظلمته عند معظم أجزاء القارة الإفريقية، وبتحقيق الاستقلال السياسي لمعظم الأقطار الإفريقية.

وقد ساعد على تحقيق الاستقلال السياسي ـ بجانب تلك الصحوة أو اليقظة الثقافية والسياسية وما صاحبها من وعي بالذات وكفاح وجهاد وتضحيات ـ عوامل خارجية كثيرة، لعل أهمها ما أسفرت عنه الحرب العالمية الثانية من هزيمة لبعض الدول التي كانت تستعمر بعض أجزاء من إفريقية، وذلك مثل إيطاليا، ومن إنهاك لقوى دول مستعمرة أخرى ـ رغم انتصارها الظاهر في الحرب ـ وذلك مثل بريطانيا. كما ساعد على ذلك ظهور بعض القوى

والمتغيّرات الجديدة في السياسة الدولية، وذلك مثل تأسيس هيئة الأمم المتحدة كمنبر سياسي تطالب الشعوب من خلاله بحقها في الحرية والاستقلال.

وقد كان الاستقلال السياسي الذي حققه معظم الأقطار الإفريقية بداية مرحلة جديدة من الوعي الثقافي والاجتماعي والسياسي أوسع مدى، وأكثر عمقاً مما كان عليه قبل الاستقلال. وقد أخذ هذا الوعي ينمو، ويتطور، ويتجدد، ويتسع باستمرار، حتى وصل إلى ما وصل إليه اليوم من القوة، والوضوح، والتنوع في الاهتمامات والاتجاهات.

ومن أهم مظاهر هذا الوعي الثقافي والاجتماعي والسياسي الجديد في إفريقية هو الاهتمام المتزايد بتأكيد الأصالة، أو الهوية الثقافية الإفريقية، وتزايد الثقة بالتعليم كأهم عامل من عوامل تأكيد هذه الأصالة أو الهوية الثقافية. وهما المظهران اللذان يهمنا الحديث عنهما بإيجاز في هذه الورقة بعد جمعها فيما عبرنا عنه في العنوان السابق للورقة: «دور التعليم في تأكيد الأصالة الثقافية الإفريقية».

وسيكون تناولنا ونقاشنا لهذا الموضوع في إطار النقاط الخمس التالية:

1 ـ مفهوم الأصالة الثقافية.

2 ـ دواعي تأكيد الأصالة الثقافية في إفريقية.

3 ـ أهمية تأكيد الأصالة الثقافية في إفريقية.

4 ـ التعليم كأهم عامل من عوامل تأكيد وتحقيق الأصالة الثقافية في إفريقية.

5 ـ شروط ومقومات التعليم الذي يمكن أن يكون عاملاً عن عوامل تأكيد وتحقيق الأصالة الثقافية في إفريقية.

1 ـ مفهوم الأصالة الثقافية:

فبالنسبة للنقطة الأولى المتعلقة بمفهوم الأصالة، فإنه من الصعب الإتيان بتعريف للأصالة الثقافية جامع لجميع مظاهرها وخصائصها ومؤشراتها وذلك لكثرة هذه المظاهرة والخصائص والمؤشرات. ولكن رغم هذه الصعوبة، فقد حاول كثير من العلماء والمفكرين تعريف أو تفسير الأصالة وكان معظم

التعريفات والتفسيرات التي أتوا بها ناقصة وقاصرة لاعتمادها على قدر محدود من مظاهر وخصائص ومؤشرات الأصالة. وكانت في مجموعها متأثرة بنزعة واضعيها وبتخصصهم، وبالمجال الذي يتحدثون فيه عنها.

أ ـ ومن التفسيرات الكثيرة التي ذُكرت للأصالة هو ما فسّرها به الأستاذ أنور الجندي في إحدى رسائله الصغيرة، وذلك عندما قال: «الأصالة هي التي تدعونا إلى التماس قيمنا الأساسية في مجال الحركة، صيانة للكيان من الذوبان، ومحافظة على الذاتية، وتحقيقاً للتفتح، والاستفادة من التجارب الإنسانية دون فقدان للهوية. وهذا يعني تكامل الحاضر مرتبطاً بالماضي ومتصلاً بالمستقبل. فليست الدعوة إلى الأصالة تستهدف الجمود أو تقليد الماضي، وإنما هي الارتباط بالخطوط الممتدة من ماضي... الأمة إلى مستقبلها ومروراً بحاضرها، إنها الارتباط بالمنابع الأصيلة التي انطلق منها فكر الأمة»[1].

ب ـ ومن هذه التفسيرات الحديثة للأصالة أيضاً ما فسّرها به الدكتور حسن حنفي في إحدى مقالاته ذات العلاقة بالموضوع، مبيّناً ما يدخل وما لا يدخل في مفهومها من المظاهر والخصائص والعناصر والمكونات، وذلك عندما قال: «لا تعني الأصالة العودة إلى القديم واجترار الماضي والفخر بالآثار والاعتزاز بها، وكأن الماضي يحتوي على قيمة في ذاته، وكأن العودة إليه تكون غاية في ذاتها وليست وسيلة لتعمق الجذور واكتشاف معوقات الحاضر أو الدوافع على تقدمه. ولا تعني الأصالة التقوقع على الذات، ورفض الغير، والنفور من الغريب، باعتباره وارداً مستورداً دخيلاً... تفقد الذات هويتها فيه، فالأصالة بهذا المعنى عزلة وفراغ وتجمد وتقلّص، ثم ضمور واضمحلال وفناء. فالذات لا تقوى إلاّ بالغير وفي صراعها معه أو تمثلها له. فالذات قدرة على الخصوبة والنماء وطاقة على الحركة والحياة، تضمر باختفاء المعارض، وتموت بانتهاء الباعث، وتذبل إذا ما غاب التحدي.

إنما تعني الأصالة البحث عن الجذور، والتأسيس في الأعماق. وقد كان

(1) أنور الجندي، الأصالة. تونس: دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع، (بد. ت)، ص2.

البحث عن الأصل والجذور والأساس أحد مطالب الحكماء قدماء ومحدثين، سواء في تراثنا القديم، أو في التراث الغربي، في حركات العودة إلى الأصول... فكل تغيير بلا أساس يكون حدثاً أهوج في التاريخ، لا يبقى ولا يستمر، قشرة خارجية سرعان ما تتكسر إذا ما تحركت الأعماق ونبتت الجذور. الأصالة بهذا المعنى شرط المعاصرة، وسبب استمرارها، والمحافظة عليها، والضامن لها.

كما تعني الأصالة أيضاً التجانس في الزمان والتواصل في حياة الشعوب، وأن يكون حاضرها استمراراً لماضيها، ومستقبلها استمراراً لحاضرها، فلا يقع الانفصام في شخصيتها، ولا تحدث الازدواجية في ثقافتها بين أنصار الأصالة وأنصار المعاصرة، بين دعاة القديم ودعاة الجديد، بين التعليم الديني والتعليم العلماني، فيحدث تعارض مصطنع بين الأصالة والمعاصرة، كثيراً ما يتحوّل إلى تيارين متصارعين على مستوى الممارسة والسلوك، وينتهي الأمر إلى ضياع الوحدة الوطنية...

كما تعني الأصالة القضاء على معوقات التقدم في الحاضر والقضاء عليها من الأساس، وذلك باستئصال الجذور التاريخية للتخلّف المتراكمة من الماضي في وجدان الشعوب، حتى يمكن أن تحقق المعاصرة بسهولة ويسر في زمان أقل وبرسوخ أكثر، وبرؤية تاريخية واعية، وبتدبّر وتدبير، بعيداً عن التخبط والعشوائية...

كما تعني (الأصالة) أيضاً دفع مسار التقدم، وذلك باكتشاف دوافعه المتراكمة أيضاً في الماضي في وجدان الشعوب، حتى تتحرك الجماهير دون ما حاجة إلى دعاية سياسية...، إذ تكون حركة الجماهير حينئذ حركة تلقائية تسهم في التقدم، ولا تعتبره غريباً عليها، ولا تعتبر نفسها مُقحمة عليه»[2].

جـ ـ وبجانب هذين التفسيرين، هناك تفسيرات أخرى كثيرة ذُكرت

---

(2) د. حسن حنفي، «الأصالة والمعاصرة»، مجلة المستقبل العربي. السنة الرابعة، العدد التاسع والعشرون، (يوليو 1981) ص129 ـ 130.

«للأصالة» أو الهوية الثقافية. وهي تتشابه فيما بينها، وتتركز في مجموعها على أعراض ومظاهر وخصائص ومؤشرات الأصالة الثقافية، بحيث يمكن اعتبارها من قبيل تعريف أو تفسير الظاهرة بأعراضها ومؤشراتها. وهو أمر شائع ومستساغ في الظواهر والأمور التجريدية التي يصعب أو يستحيل تعرّف كنهها وحقيقتها. «والأصالة» من هذا القبيل.

وإذا كانت هذه الورقة لا تتسع لعرض مزيد من هذه التفسيرات والتعريفات الإجرائية التي ذُكرت للأصالة، فإنّه لا أقل من أن نستفيد مما تضمنته من عناصر ومكوّنات في تكوين مفهوم شامل بقدر الإمكان «للأصالة الثقافية» التي نقصدها في هذه الورقة والتي ندعو إلى تأكيدها في إفريقية، على المستوى الفردي والمستوى الاجتماعي على حد سواء، وذلك عن طريق التعليم، وعن طريق غيره من الوسائل، والسبل الممكنة لتأكيد وتحقيق هذه الأصالة الثقافية في إفريقية. ولكن قبل عرض هذا المفهوم، لا بد أن نشير ـ منذ البداية ـ إلى أن منطلقنا في تحديد هذا المفهوم هو منطلق إسلامي في المقام الأول، لأننا لا نستطيع أن نأتي بمفهوم للأصالة يتعارض مع روح الإسلام في قارة يدين معظم سكانها بالإسلام. كما علينا أن نشير إلى أن الثقافة التي ندعو إلى تأصيلها والرجوع إلى أصولها وثوابتها تشمل في مفهومها الأنثروبولوجي الواسع جميع ما تمتلكه أمة من الأمم أو مجتمع من المجتمعات من معتقدات، وقيم، وعادات، وتقاليد، وأعراف، ونظم، وأنماط، وأساليب معيشية مختلفة، وذلك بالإضافة إلى ما أنتجته وأبدعته هذه الثقافة من فكر وأدب وفن.

ومن هذا المنطلق وعلى هذا الأساس، فإن الأصالة الثقافية الإفريقية، بالنسبة للمسلم المثقف الإفريقي تعني: الإيمان بالله وبأهمية وضرورة العمل الصالح في الدنيا وبالحساب والجزاء على ذلك في الآخرة، وتحكيم شريعة الله في شؤون الحياة، وعدم استبعاد عنصر الدين عن الحياة، والتوفيق بين العلم والدين من جهة، وبين العلم والحياة من جهة أخرى، والارتباط بالمنابع الأساسية للفكر الإسلامي، بما في ذلك منبع أو مصدر الاجتهاد الفقهي الذي يعترف بالتجدد والتطور في حياة المجتمع وفي حاجاته ومشكلاته وقضاياه،

ويحاول أن يجد لها الحلول المناسبة التي تتمشى مع مبادىء وقواعد ومقاصد الدين والشريعة العامة وقيم الدين الأساسية، وفي الوقت نفسه تساير روح العصر وتلبي احتياجاته.

كما تعني الأصالة التمسك بالأخلاق الحميدة الأصيلة التي يأتي في مقدمتها الصدق، والأمانة، والوفاء بالعهد، والثبات على المبدأ، والالتزام بالحق ومقاومة الظلم والانحراف، والعبودية لله وحده، والثقة بالله وبالنفس، وضبط النفس، والطمأنينة والسكينة، واليقين وقوة العزيمة والإحساس بالعزة والكرامة، وصيانة الحرمات أن تُنهك والأعراض أن تنتهك والأخلاق أن تُهدر والآداب أن تقبر، والشجاعة والشهامة والنخوة والنجدة والشمم وإباء الضيم، والإخلاص، والحلم والرحمة والشفقة والإيثار، والعفو عند المقدرة، والصبر على المشقة، والرضاء بقضاء الله وقدره، والإخاء، والتعاون والتضامن والمودة، والحياء ولزوم الحشمة والوقار والعفة، والتواضع، والعدل، والاعتدال، واحترام العمل وتقدير الواجب والمسؤولية والعلم، إلى غير ذلك من الأخلاق الحميدة المستمدة من القيم الإسلامية والإنسانية الثابتة: قيم الحق والخير والجمال والعدل والإخاء الإنساني التي تتفرع عنها جميع الأخلاق الفاضلة التي لن يضل فرد أو مجتمع تمسك بها وحافظ عليها[3].

وفي المجال الفكري، والأدبي، والفني، والاجتماعي، والسياسي، فإن الأصالة التي نود تأكيدها وتحقيقها في الثقافة الإفريقية تعني:

التوفيق بين الروح والمادة وبين العلم والدين، والإيمان بأهمية العقل وبضرورة إعماله والرجوع إليه في كل ما يواجه الإنسان من مشكلات مادية في هذه الحياة. والإيمان بقيمة العلم في الحياة، والإبداع الفكري والأدبي والفني، وإحياء التراث الأصيل والمحافظة عليه، وتنقيته من الشوائب التي علقت به في فترات الضعف والتخلّف، وتجديده وتطويره باستمرار، واختيار الصالح منه والنافع اجتماعياً، والعمل على نشره وإطلاع الناس عليه، ووصل الحاضر

(3) ينظر: د. أحمد الشرباصي، موسوعة أخلاق القرآن. بيروت: دار الرائد العربي، 1971.

بالماضي، وصيانة التاريخ الإفريقي، وتخليصه مما علق به من زيف وتشويه على أيدي من كتبوه من الغربيين المغرضين، والمحافظة على الطابع الثقافي المميّز للأمة الإفريقية وللمجتمع الإفريقي، وذلك على أساس أن الثقافة هي ملك خالص لكل أمة، وهي طريقة الحياة في المجتمع، وذلك على خلاف العلم؛ فإنه ليس خاصاً بأمة أو مجتمع معيّن وليس ملكاً للشرق أو الغرب.

وتأكيد الأصالة الثقافية للأمة وللمجتمع لا يتنافى مع الانفتاح على التجارب الإنسانية الناجحة، والاقتباس لكل ما هو نافع من الشعوب والمجتمعات الأخرى، ولا مع تعزيز التعاون والتفاهم والتفاعل الإيجابي المثمر والمفيد مع مختلف الأمم والشعوب والثقافات. وإذا كانت الأصالة تعني التحرر من التبعية لثقافة الغرب، فإنّ هذا التحرر لا يعني ـ كما يقول الدكتور محمد الجابري ـ «الانغلاق دونها. إن التحرر من الغرب يعني التعامل معه نقدياً، أي الدخول مع ثقافته في حوار نقدي، وتعرّف أسس تقدمها والعمل على استنباتها في تربتنا الثقافية»[4]. وإذا كانت الأصالة تستدعي الرجوع إلى الماضي تراثاً وتاريخاً، لأنه لا يتصور وجود أمة بلا ماض وبلا تاريخ، فإنه على الأفارقة أن يرجعوا إلى أصولهم ومنابعهم الجوهرية والنقية وأن يتأملوا في ماضيهم، لا لكي يرجعوا به إلى الوراء، ولا لكي يتقوقعوا على أنفسهم وينعزلوا عن العالم المحيط بهم، ولكن ليأخذوا منه حصيلة حضارية يعتزون بها ورصيداً لمسيرتهم إلى الأمام وليوفقوا بين فكر الماضي وفكر الحاضر، ويعيدوا بنية الوعي بهما والعلاقة بينهما.

وإذا كانت الأصالة الثقافية تعني كل ما تقدم، فإنّها في المقابل لا تعني: الجمود والركود والانطواء على الذات، والانكماش على النفس، والتزمّت والتحجر، ولا الهروب من الواقع المتخلّف المعاش والاتجاه نحو الماضي، والاحتماء وراءه، والوقوف عند التغني بأمجاده، والإشادة بمنجزاته وبطولاته،

---

(4) د. محمد الجابري «إشكالية الأصالة والمعاصرة في الفكر العربي الحديث: صراع طبقي أم مشكل ثقافي؟» بحث قدّم في ندوة: التراث وتحديات العصر في الوطن العربي. الأصالة والمعاصرة/ مركز دراسة الوحدة العربية/ بيروت ط2 1987م ص55.

وإضفاء طابع المثالية على قيمه الثقافية والخلقية، ولا التمسك بالتقاليد حتى ولو كانت غير صالحة وغير مناسبة لروح العصر الذي يعيش فيه المجتمع، أو إحياء التعابير الفولوكلورية الجزافية، أو الانغلاق على التراث والتقيّد به إيماناً بأن كل ما فيه صالح ومقدس وغير قابل للنقد أو النقض، أو الوقوف في وجه التطور والتغيّر الاجتماعي، أو في وجه الأخذ بأسباب التقدم المادي والعلمي والصناعي. فالأصالة ـ كما يقول الدكتور محمد الجابري ـ «ليست ركازاً أو كنزاً، وليست معطى خاماً، وليست ما أقرته السلطة أو ما أقره المؤرخون أو الفقهاء المقلدون الذين يدّعون أن باب الاجتهاد قد أُغلق، وليست هي ما جرت به الأعراف والعادات، بل الأصالة سمة تطبع كل عمل فيه خصوصية وإبداع، والخصوصية والإبداع ليسا وقفاً على فترة معينة. . .»[5].

والأصالة الثقافية التي نريدها لإفريقية هي ضد الشعوذة الإفريقية بمظاهرها المختلفة، وضد السحر، وضد التقليد الذي لا يستند إلى دليل ولا يقبله منطق ولا عقل، وضد الاتكالية والاستسلام لقوى خفيّة لا يستند وجودها إلى دليل من الدين والعلم، وضد إحياء العادات والتقاليد الخرافية، والفنون البدائية التي تتعارض مع الدين والعقيدة، وضد النكوص إلى الماضي والاعتماد عليه كليّة، وضد النصيّة الحرفية الجامدة فيما يقبل الاجتهاد والتأويل، وضد التعصّب العرقي والتعصّب للون الأسود، إلى غير ذلك من الأمور التي يظنّ بعض دعاة الأصالة أنها داخلة في مفهوم الأصالة، ولكنها لا تمت إلى الأصالة بصلة.

والأصالة بعد ذلك كله ترفض التبعية الثقافية واقتباس ما ليس حيّاً في قرارة النفوس، كما ترفض قبول الحضارة الغربية على إطلاقها، وتغلغل الأفكار الأجنبية، والضياع في بوتقة الأممية والعالمية التي تنصهر فيها الأمم الضعيفة التي تساهلت في مقوماتها وأعراقها. ولكن رفضها للتبعية وقبول الحضارة الغربية على إطلاقها لا يعني أنها ترفض المعاصرة والأخذ بأسباب الحداثة، لأن الحقيقة غير ذلك، حيث إن المعاصرة أو الحداثة تعتبر صنواً للأصالة وترتبط

(5) نفس المرجع السابق، ص54.

معها بوحدة عضوية. وارتباط المعاصرة بالأصالة يساعد على تأصيلها الذي يعني «تحويلها من معاصرة قائمة على التبعية والنقل والاستنساخ إلى معاصرة قائمة على المواكبة والمساهمة إنتاجاً وإبداعاً. . .»[6].

2 ـ دواعي تأكيد الأصالة الثقافية في إفريقية:

وبالنسبة للنقطة الثانية من النقاط الخمس السالفة الذكر التي التزمنا بإلقاء الضوء عليها في هذه الورقة، وهي النقطة المتعلقة ببيان دواعي تأكيد الأصالة الثقافية في إفريقية، فإنَّ كل من درس تاريخ إفريقية الحديث دراسة فاحصة واعية، ولاحظ بدقة وعمق ما حدث فيها في السنوات الأخيرة من تغيّرات ثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية؛ يدرك هذا الوعي، ويلمس الحاجة الماسة إلى إعطاء مزيد من الاهتمام إلى تأكيد هذه الأصالة الثقافية في إفريقية في جميع خطط ومشاريع التنمية الإفريقية، وفي جميع الجهود التي تبذل في سبيل تطوير وتحسين الحياة في إفريقية حاضراً ومستقبلاً. ومن هذه الدواعي والأسباب والمبررات الداعية لتأكيد هذه الأصالة يجدر الإشارة إلى ما يلي:

أ ـ ما يلاحظ على الحياة الإفريقية وما يجري في مجتمعاتها وبين صفوف شبابها، وبخاصة في المدن الإفريقية الكبيرة، من تقليد أعمى للثقافة الغربية واستنساخ كامل لهذه الثقافة بكل ما فيها من مساوىء وشرور ومظاهر تتنافى مع القيم الإفريقية الأصيلة المستمدة من دينها وتراثها وتاريخها، ومن «تبيّن للنموذج الغربي المعاصر بوصفه نموذجاً للعصر كله، أي النموذج الذي يفرض نفسه تاريخياً لصيغة حضارية للحاضر والمستقبل»[7].

وكانت النتيجة لهذا التبني أن غرس النموذج الحضاري الغربي في البلدان الإفريقية التي كانت مستعمرة لقوى استعمارية غربية بدون استنبات لأسسه في الداخل، بل نقل من الخارج جاهزاً، وغرس بالإغراء حيناً وبالقوة حيناً آخر.

---

(6) نفس المرجع السابق، ص58.

(7) نفس المرجع السابق، ص31.

وأصبحت الثقافة الغربية الأجنبية الدخيلة تغزو إفريقية من كل صوب وفي جميع مجالات حياتها. وكانت النتيجة لهذا الغزو الثقافي الغربي الأجنبي فصل إفريقية عن جذورها التاريخية وعن منابع فكرها، وطمس معالم شخصيتها وهويتها المتميّزة، وتكريس تبعية ثقافتها لنمط الثقافة الغربية، وتكريس تمزقها وانقسامها وتشرذمها الفكري، وتركها في مهب رياح التأثيرات الوافدة من الغرب ورياح التغيير الاجتماعي والثقافي غير الموجّه، دون أن يكون لها مرشد يرشدها ويهديها إلى سبيل الأصالة الحقة.

وإذا كانت هذه التبعيّة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية لها ما يبررها، أو بالأحرى ما يجبر عليها فترة الاستعمار المباشر، فإنّه لا يجوز لإفريقية أن تستمر في تبعيتها هذه شبه المطلقة للدول الغربية التي كانت تستعمرها، حتى بعد استقلالها السياسي الذي يفترض فيه أن يكون مفتاحاً لتحررها الثقافي والاجتماعي والاقتصادي، وأن يكون خطوة نحو تحقيق استقلال إفريقية الكامل بأبعاده المختلفة: الثقافية والاجتماعية والاقتصادية.

ولكن الذي حدث في إفريقية أن كثيراً من أقطارها لم تخط الخطوات التي ينبغي أن تخطوها عقب خطوة تحقيق استقلالها السياسي، بل حتى هذا الاستقلال السياسي بقي رخواً إن لم يكن ناقصاً ومحدود الفائدة بسبب عدم تحقيق الأبعاد الأخرى للاستقلال، وذلك مثل: البعد الثقافي والعلمي والتقني، والبعد الاجتماعي، والبعد الاقتصادي، والبعد التشريعي، وما إلى ذلك. وكان من بين الأسباب التي يرجع إليها العجز في تحقيق الأبعاد الأخرى للاستقلال في إفريقية. هي: نقص الموارد المالية، وسوء الأحوال الاقتصادية، والتخلّف الاجتماعي والاقتصادي، وتراكم المطالب الاجتماعية التي لا يمكنها الوفاء بها في ظل إمكاناتها المالية المحدودة، وعدم الاستقرار السياسي، وما إلى ذلك.

ومن جراء كل ذلك، استمرت تبعية الثقافة الإفريقية للثقافة الغربية حتى بعد استقلال معظم أجزاء إفريقية، واستمر النفوذ الأجنبي فيها، واستمرت سيطرة المال الأجنبي والملكية الأجنبية على قطاعات هامة من اقتصادها، واستمرت تصدّر ما لديها من موارد خام أولية بدون تصنيع لتورّد بأثمانها

منتجات وسلعاً استهلاكية وإنتاجية مصنّعة يزيد ثمنها على ثمن المواد الخام التي صدّرتها إلى الخارج، وأصبحت المساعدات الأجنبية بجميع أنواعها وعلى اختلاف مصادرها مدخلاً من مداخل بسط النفوذ الأجنبي في إفريقية، وعاملاً من عوامل زيادة التدخل الأجنبي في شؤون واختيارات البلدان الإفريقية الثقافية والاقتصادية والسياسية.

والنتيجة الكلية لكل ما تقدم من عوامل في الساحة الإفريقية هو: استقلال ناقص مبتور، وتبعية مذمومة ضارة، ومساس بحرية الشعوب الإفريقية وسيادتها، وامتهان لكبرياء إفريقية الوطني والقومي، وإضعاف للهوية الثقافية الإفريقية الوطنية والقومية، وتغريب واستلاب ثقافي وحضاري إفريقي، وترسيخ لأقدام استعمار جديد لا يقل في خطورته عن الاستعمار السافر والمباشر القديم. كما كانت النتيجة أيضاً: ازدواجية صميمة على مختلف المستويات، تتمثل في وجود نمطين من الحياة الفكرية والمادية. **أولهما**: عصري مستنسخ عن النموذج الغربي ومرتبط به ارتباط تبعية. **وثانيهما**: تقليدي تراثي في صورته المتقوقعة. ويتنافس هذان النمطان ويتصادمان على صعيد الواقع الثقافي والاجتماعي والاقتصادي[8].

ب ـ الفهم الخاطئ للأصالة ولمكوناتها ومؤشراتها ومقوماتها وشروطها لدى كثير من الإفريقيين الأفراد منهم والجماعات، وهو الفهم الذي يعوق التقدم نحو تحقيق الأصالة الحقيقية، بل قد ينفر منها، ويكون سبباً في إضعاف شأنها والتقليل من قيمتها وتجنب الخوض فيها، وبخاصة ممن يدّعون العلم والثقافة والتقدمية والتحمس للتغيير والتجديد والأخذ بأسباب المعاصرة والحداثة.

ومن مظاهر هذا الفهم الخاطئ للأصالة الضار بتأكيدها ما سبقت الإشارة إليه عند الحديث عما لا يدخل في مفهوم الأصالة. ويمكن أن نشير في هذه الفقرة إلى مزيد من هذه المظاهر التي تكوّن في مجموعها مبرراً وسبباً داعياً إلى توضيح الأصالة بمعناها الحقيقي وإبراز ضرورة تأكيدها، وذلك فيما يلي:

---

(8) ينظر: نفس المرجع السابق، ص34.

1 ـ فهم الأصالة على أنه يكفي في تأكيدها وتحقيقها مجرد تغيير اسم البلد أو اسم حاكمه، وأسماء بعض الشخصيات البارزة فيه من أسماء غربية إلى أسماء إفريقية، واستبدال الثوب الأوروبي بالثوب الإفريقي، وذلك كما حدث في الكونغو، أو تأكيد العنصرية العرقية الزنجية وتغليبها على بقية عناصر المجتمع الإفريقي التي لا تنتمي إلى العرق الزنجي، ولكنها لا تقل في إخلاصها وعملها لصالح البلد الذي تعيش فيه، وذلك كما حدث في زنجبار بالنسبة للعنصر العربي، وكما حدث في أوغندة بالنسبة للعنصر الآسيوي، أو إحياء التعابير الفولوكلورية الخرافية، والظهور بمظاهر الغرائب الاستوائية في أخلاط من الأقنعة الخشبية، وأنماط وأشكال من جلود الحيوانات وريش الطيور ودقات الطبول والطنابير والرقصات والأغاني الإفريقية القديمة[9].

وتظهر حركة التزنج في شكلها المعتدل والمقبول إلى حد ما، في حركة التزنج التي يتزعمها الأديب والكاتب والرئيس السنغالي السابق «ليوبولد سنغور» والتي تسعى لإظهار الشخصية الإفريقية في نهج الحياة العامة. وقد تضمنت كتابات «سنغور» تحدياً واضحاً لادعاءات تفوّق الثقافة الغربية على الثقافة الإفريقية.

ولكن على الرغم من اعتدال حركة التزنج التي يقودها «سنغور» ومن سار على نهجه، فإنّها ليست السبيل المرغوب والمقبول لكل من يعيش في إفريقية، وليست الطريقة الأمثل لتحقيق هدف التحرر الثقافي في إفريقية، حيث إن التحرر الثقافي لا يعني بأية حال إثبات تفوق الثقافة الإفريقية على أية ثقافة أخرى، ولا دحض الثقافات الأخرى، ولكنه يعني ببساطة تمكينها من تبوّء مكانها بين الثقافات الأخرى. وفي الإمكان، بل من المرغوب فيه معايشة الثقافات التقليدية وممارستها بالإضافة إلى الأخذ ببعض سمات المؤثرات الجديدة». . . وببعض

(9) ينظر: د. محي الدين صابر، «العلاقة بين الثقافة العربية والثقافات الإفريقية»، في: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، العلاقة بين الثقافة العربية والثقافات الإفريقية، (وقائع ندوة بهذا العنوان في الخرطوم في شهر فبراير 1981)، (أعد وقائعها للنشر وقدم لها: د. يوسف فضل حسن)، تونس، المنظمة، 1985، ص7 ـ 8.

قيم الثقافات الأخرى، «ولكن بدون الإذعان لسيطرتها أو تصوّر تفوقها على القيم الموروثة»[10].

ومن مظاهر هذا الفهم الخاطئ للأصالة الثقافية الإفريقية أيضاً فهمها على أنها دعوة إلى تقديس الماضي لمجرد أنه ماض، أو تعصب للقديم لمجرد قدمه، أو دعوة للانغلاق والاكتفاء الذاتي في مجال الثقافة والعلم، أو انكباب على النفس وزهد في الحياة، وتصوّف سلبي وإهمال للواقع المعاش، أو مقاومة للتفتّح الثقافي الواعي والتفتّح العلمي من أجل تطوير وتجديد الحياة، أو معاداة للتقدم والتطور والتجدد والتحوّل الاجتماعي والحداثة، إلى غير ذلك من مظاهر المبالغة في تقديس الماضي، والتراجع الحضاري، والانغلاق على الذات، التي تعبّر عن الفهم الخاطئ للأصالة ولدعوة الداعين إلى تأكيدها والتي من شأنها ـ إن أغفلت ـ أن تضر بقضية تأكيد الأصالة، وتعطي المتغرّبين والمستلبين ثقافياً حجة وسنداً في مقاومتهم لتأكيد هذه الأصالة. ومن ثمّ، فإنه من واجب دعاة تأكيد الأصالة الإفريقية والمهتمين بهذا التأكيد أن يقوموا بمسح وحصر وتصنيف هذه المظاهر وتعرّف أسبابها. وبيان سبل علاجها وطرق تنفيذها من خلال وسائل الإعلام والإرشاد المختلفة، ومن خلال مناهج التعليم وبرامجه ومناشطه المختلفة.

جـ ـ والمبرر الثالث لتأكيد الأصالة الثقافية في إفريقية يتمثل في الغزو الثقافي الذي يجتاح إفريقية في الوقت الحاضر، وما صاحبه أو ترتّب عليه من تغريب وتأورب، واغتراب ثقافي أو فقدان للهوية الثقافية الإفريقية، وتوجه علماني وفصل للدين عن الدولة، وتشويه للدين وإلصاق ما ليس منه به، وإضعاف للغة العربية واعتبارها لغة دخيلة في إفريقية، وإحلال للحرف الأجنبي الغربي محل الحرف العربي حتى في البلدان الإفريقية المسلمة كالصومال مثلاً، وفي البلدان الإفريقية التي تتكلم بلغات إفريقية أقرب إلى اللغة العربية منها إلى اللغات الغربية. وكانت تستعمل الحرف العربي، وبها نسبة عالية من المسلمين

(10) د. سليمان كيجوندو، «الاستعمار الثقافي في إفريقية (جنوب الصحراء)»، في المرجع السابق، 1938 ـ 141.

الذين يرجعون إلى أصل عربي، وذلك مثل تنزانيا التي يتكلم شعبها اللغة السواحيلية. إلى غير ذلك من مظاهر وآثار الغزو الثقافي والاستلاب الثقافي والتبعية الثقافية التي تعتبر أخطر نتائج الغزو الثقافي، والتي تقوم عليها أشكال التبعيات الأخرى، كتبعيّة التعليم، وتبعيّة الاقتصاد، وتبعيّة السياسة، وتبعيّة التشريع، وما إلى ذلك من التبعيّات التي يجرّ إليها الاستعمار بنوعيه المباشر وغير المباشر: الاستعمار السياسي والاستعمار الثقافي، وقد جرّ الأفارقة بالفعل إلى هذه التبعيّات «وأفقدهم جذورهم الثقافية والاجتماعية والسياسية، وأفقدهم القدرة على تجديد مقوماتهم الثقافية، وبدأوا في تقليد ومحاكاة النظم الغربية. وفقدان إفريقية لفرصة تطوّرها التلقائي في مجال الدين والتعليم والاجتماع والسياسة والاقتصاد لم يحرمها من الإسهام في تطوير الحضارة العالمية فحسب، بل إنه في الوقت ذاته (جعل المجتمع الإفريقي يسلّم) نفسه للتوتر وعدم الاستقرار والفوضى الاجتماعية والسياسية الناتجة عن النزعات الفكرية بين العناصر التقليدية وبين المقلدين للنهج الأوروبي. . .»[11].

وقد استعان الغزو الثقافي الجديد في تحقيق أهدافه السالفة الذكر بجميع وسائله المعهودة التي يستخدمها في استقطاب الشعوب المغلوبة على أمرها، وفي التأثير فيها والتي من بينها: التبشير، وإنشاء المدارس الأجنبية التبشيرية الخاصة داخل البلدان المستهدفة، وإعطاء المنح الدراسية للدراسة في الخارج، وإعطاء المنح وتقديم المساعدات لتدعيم اللغات والثقافات الغربية في البلدان المستهدفة، والإعلام الدقيق المنظم، والبحث العلمي، وتأليف الكتب الموجَّهة لخدمة أغراض الاستعمار الثقافي، والتشكيك في الهوية الثقافية للشعوب المستهدفة، وترجمة الكتب المغرضة، وما إلى ذلك من وسائل وسبل الاستعمار الثقافي.

واستطاع الاستعمار بوسائله وأساليبه المختلفة ـ بالنسبة لإفريقية بالذات ـ أن يكوّن طبقة من الأفارقة تعلّمت وتدرّبت في الداخل أو الخارج حسب نظم

(11) نفس المرجع السابق، وضمن الصفحات المشار إليها فيه.

التعليم الغربية، وتشرّبت بالثقافة والأفكار الغربية، وأصبحت نظرتها الثقافية والسياسية لا تتجاوز آفاق الرؤية الغربية التي تربّت في أحضانها وتأثرت بها. وقد أسندت إلى هذه الطبقة أو الفئة من الأفارقة المتعلمة بتعليم الغرب والمثقفة بثقافته مقاليد الحكم والعمل السياسي والثقافي والإعلامي والاجتماعي، ومقاليد التخطيط والتنفيذ للثقافة والإعلام والتعليم والتنمية الاقتصادية والاجتماعية، فكانت خير ممثل للاستعمار الجديد، وخير مدعم لسياسته الجديدة، وخير منفذ لخططه، وخير أداة لتحقيق أهدافه الخفيّة والظاهرة.

وقد رأت هذه الطبقة أو الفئة في دعوات تأكيد الأصالة ما يتنافى مع مصالحها، ومع القيم الغربية التي تشبّعت بها، وما يهدّد امتيازاتها والمراكز السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي اكتسبتها، فراحت ترمي الأصالة بالرجعية والسلفية والمعاداة للتقدم والتطور والحداثة والتجديد، وبالمنافاة لروح العصر وبالانغلاق على القديم والتعصّب له، إلى غير ذلك من التهم الباطلة التي جرت عادة المتغربين والمتأوربين والمسلوبين ثقافياً من الأفارقة وغيرهم أن ينسبوها إلى دعوات الأصالة، جهلاً منهم بحقيقة الأصالة التي سبقت لنا الإشارة إلى بعض معالمها ومقوماتها، أو خُبثاً ومكراً منهم، وعمالة للفكر الأجنبي الدخيل وللحضارة الغربية المتفوقة في نظرهم، وانبهاراً طفولياً بالثقافة الغربية وبمنجزات الحضارة الغربية غير ناظرين لعيوبها وجوانب النقص والضعف والإخفاق فيها، وتقليداً أعمى للثقافة الغربية دون الدخول معها في حوار نقدي، ودون تعرّف أسس تقدمها، ودون العمل في استنباتها في البيئة الإفريقية، وفقداناً منهم للثقة بالذات والفردية والقومية الإفريقية.

وكان من بين ما دعا ويدعو له الأفارقة المنتمون إلى هذه الفئة المسلوبة ثقافياً: الأخذ بالثقافة الغربية بدون قيد ولا شرط، وتعظيم العقل الغربي، والتقليل من شأن العقل الإفريقي، وإضعاف الدين وإبعاده عن معترك الحياة، وإلغاء الحرف العربي، وما إلى ذلك من الدعوات الباطلة والضارة بالأصالة الإفريقية التي يدعو لها هؤلاء المتغربون.

ونجاح هؤلاء المتغرّبين في دعواتهم ليس له من نتيجة سوى الانسلاخ من

الثقافة الإفريقية الأصيلة، والارتماء في أحضان الغرب، والاستسلام للغزو الثقافي الغربي، والدخول في دوامة الضياع والتمزق والصراع والأزمات التي يعيشها الفكر الغربي والثقافة الغربية. ومن ثم فإنّه لا بد من بذل الجهود لمقاومة الغزو الثقافي الغربي ودعوات المتأثرين بهذا الغزو، وتأكيد الأصالة الثقافية الإفريقية.

د ـ ومن دواعي ومبررات تأكيد الأصالة الثقافية الإفريقية أيضاً التغيّر الاجتماعي الكبير والواسع الذي حدث ولا يزال يحدث في المجتمعات الإفريقية، والذي يخرج في كثير من مظاهره وجوانبه عن نطاق التخطيط والتوجيه، ولا يفرق بين الثوابت والمتغيّرات ولا بين الأصول والفروع ولا بين العقائد والمعارف. وقد شمل هذا التغيّر كلّ جوانب الحياة والثقافة الإفريقية، بما في ذلك المعتقدات والقيم والعادات والتقاليد وأنماط ونظم وأساليب المعيشة والحياة، ووظائف الأسرة وأدوارها، وما إلى ذلك من جوانب الحياة ومكوّنات الثقافة.

وكان من نتائج هذا التغيّر الاجتماعي والثقافي الإفريقي غير المخطط له التخطيط الدقيق، وغير الموجه التوجيه السليم في ضوء قيم الدين الإلهي والثقافة الإفريقية الأصلية:

ضعف سلطان الدين والعقيدة في نفوس الشباب الإفريقي المسلم والمسيحي على حد سواء، وضعف التزام هؤلاء الشباب بتطبيق تعاليم الدين وممارسة عباداته وشعائره، وضعف وازعهم الخلقي، وانتشار ظاهرة شرب الخمور بين الشباب وغيرهم، وبخاصة في المدن الإفريقية الكبيرة، وضعف سلطان التقاليد والرقابة الاجتماعية، وضعف دور الأسرة، وتزايد الصراع القيمي بين جيل الكبار وجيل الشباب حول كثير من القضايا الاجتماعية، مثل دور الأسرة ومسؤولياتها، ودور المرأة في المجتمع وحريتها وحقها في التعليم والعمل، ودور الكبار في توجيه النشء، وحكمتهم واحترامهم الذي كان أمراً مسلماً في الماضي، وحول كثير من القضايا الاجتماعية الأخرى.

ومن هذه النتائج السلبية لذلك التغيّر الاجتماعي والثقافي الإفريقي غير الموجه: انتشار ظاهرة العنف والاحتيال، وضعف الوازع الديني والخلقي،

وضعف الانتماء الوطني والقومي، وبروز ظاهرة الاغتراب عن المجتمع، والخروج عن القيم والتقاليد المتوارثة، والتمزق والتشرذم الفكري، والانبهار بثقافة الغرب والاستلاب إزاء ذلك. والاكتفاء بأخذ النتائج، والإعراض عن المبادئ والأسس التي تكمن وراءها، وفقدان الطابع الإفريقي المميّز في الحياة، وتغلّب السطحية على التعمّق، والتقليد على الاقتباس البصير، والأنانية على الغيرية، وانتشار ظاهرة السلبية بين الناس وضعف مشاركتهم في حياة مجتمعهم وفي شؤونه العامة، بل قلّة اكتراثهم بما يجري في مجتمعهم لضعف انتمائهم الوطني ووازعهم الديني والخلقي.

ومن هذه النتائج السلبية أيضاً لذلك التغيّر الاجتماعي والثقافي غير الموجّه: التمرد على القديم والشعور بأن التقاليد والأساليب والوسائل القديمة قد أصبحت عاجزة عن متابعة الحياة في تطورها المستمر، وعن الوفاء باحتياجات الإنسان الحديث، والانكباب في الاستهلاك الذي يبعثر الموارد، ويضعف الادخار، ويبدّد المناعة، ويزيد من التخلّق والتبعية وضعف الإنتاجية على المستوى الفردي والقومي على حد سواء. وليس أدل على ضعف الإنتاجية في إفريقية بصورة عامة ما نلحظه من ضعف في معدلات النمو فيها في فترة السبعينيات وما بعدها حيث نجد أن معدّل النمو السنوي الحقيقي في الناتج المحلي لثمانية وثلاثين بلداً إفريقيةً ـ ما عدا نيجيريا ـ لم يزد في المتوسط عن 1,6 بالمائة في فترة ما بين (1970 و1979م)، أي قبل استفحال الأزمة الاقتصادية العالمية في 1980 و1981م[12].

ومن هذه النتائج السلبية لذلك التغيّر الاجتماعي والثقافي غير الموجّه: انتشار الاضطرابات والأمراض النفسية بأنواعها ومستويات حدتها المختلفة، وبخاصة بين الشباب، ومن هذه الاضطرابات: القلق أو الخوف من المستقبل المجهول، والانطواء على الذات، والاكتئاب والشعور بالغربة والاغتراب عن المجتمع، وبضعف الهوية والانتماء إلى المجتمع، وبضعف الدور وعدم

(12) ينظر: د. طاهر حمدي كنعان، «العربية ـ الإفريقية المعاصرة»، مجلة المستقبل العربي، السنة السادسة، العدد الثالث والخمسون، (يوليو 1983)، ص64.

الأهمية والفائدة في الحياة، وبعدم وضوح الهدف وضعف الأمل في المستقبل، والشعور بعدم جدوى ما يُقال وما يُكتب في ظل ما هو قائم من قمع وكبت للحريات ونفاق وتملّق للسلطة الحاكمة، وبالتناقض بين ما يُقال ويُذاع وبين ما هو قائم بالفعل وبين القيم الروحية والقيم المادية.

إلى غير ذلك من النتائج السلبية لذلك التغيّر الاجتماعي والثقافي غير الموجّه وغير المخطط له التخطيط السليم، وقد صاحب ذلك التغيّر الاجتماعي والثقافي كثير من العوامل التي زادت من التمكين لهذه النتائج السلبية ومن خطورتها. ومن بين هذه العوامل: قلّة المتخصصين في الدراسات الدينية، والواعين بمقاصد الدين وحكمة تشريعاته وتعاليمه، والقادرين على تقديمه إلى الناس على بساطته ويسره وملاءمته للفطرة السليمة ولكل تقدم جاد في الحياة، وعلى ربطه بالواقع المعاش وبالمشكلات الحقيقية للمجتمع، ولفئة الشباب بالذات، وعلى إجابة تساؤلات الشباب المحيّرة لهم بما تقبله عقولهم وتطمئن إليه نفوسهم، وتتفق في الوقت نفسه مع روح الدين وحكمته.

ومن هذه العوامل أيضاً التخلّف الاقتصادي وسوء الأحوال الاقتصادية التي يعيشها السواد الأعظم في إفريقية، وما يرتبط بذلك من ضعف في الإنتاج وبطالة سافرة ومقنّعة، وفقر مدقع وتهديد بالجوع في بعض المناطق الإفريقية، ونقص في الأموال والثمرات، وما إلى ذلك. ومن هذه العوامل أيضاً: التخلّف الاجتماعي، والثقافي، والعلمي، والتقني، والسياسي، وما يرتبط بذلك من ضعف في المؤسسات الاجتماعية، وتفكك في البُنى والعلاقات الاجتماعية، وركود في الحياة الفكرية والأدبية، وتسييس للإنتاج الثقافي ووقوعه في دائرة الآنية والمباشرة السطحية، وضعف في الإنتاج الفكري والأدبي والعلمي والتقني، وفقر في القيادات الدينية والفكرية والأدبية والثقافية والاجتماعية والسياسية، وغياب للمناخ الديمقراطي الحر الذي يشجع على العمل والإنتاج من أي نوع، وعلى المشاركة الإيجابية في مختلف مجالات الحياة، وقمع وكبت للحريّات العامة، وصراع سياسي على السلطة، وتذبذب بين النظريات والأيديولوجيات والمذاهب السياسية المستوردة والمتضادة فيما بينها، ونزاعات

مزمنة بين الدول الإفريقية بعضها مع بعض من ناحية، وبينها وبين حركات المعارضة فيها من ناحية أخرى، كما هي الحال في منطقة القرن الإفريقي مثلاً، وضعف في التخطيط والتدبير في جميع المجالات وعلى كلّ المستويات، وعدم مراعاة لمبادئ التخطيط العلمي السليم في كثير من مشروعات التنمية، وعدم مطابقة للوسائل المستخدمة مع الأهداف المنشودة.

إلى غير ذلك من العوامل التي أسهمت في التمكين لتلك النتائج السلبية التي سبقت الإشارة إليها. ولعل أهم هذه العوامل وأخطرها ـ في نظرنا ـ هو ضعف روح الأصالة الثقافية في إفريقية، أو ضعف الهوية الثقافية والقومية فيها، وما يرتبط بهذا الضعف من استلاب ثقافي وتقليد أعمى للثقافة الغربية، وقطع لصلات الحاضر والمستقبل بالماضي. وليس هناك من علاج لضعف روح الأصالة الثقافية إلاّ تقويتها وتدعيمها وتأكيدها في كل مظاهر الحياة ومجالاتها، لأن هذا التأكيد والتدعيم مدخل هام لعلاج وتلافي بقية الأسباب والعوامل والنتائج السلبية التي أشرنا إليها في إيجاز وإجمال.

وليس لنا من هدف من وراء ذكرنا من دواع ومبررات وعوامل سوى إبراز الحاجة إلى تأكيد الأصالة الثقافية الإفريقية وإبراز ضرورة هذا التأكيد الذي يمكن أن يسد فراغات وأوجه نقص كثيرة.

3 ـ أهمية تأكيد الأصالة الثقافية في إفريقية:

ويلزم من التسليم بوجود حاجة ماسة إلى تأكيد الأصالة أو الهوية الثقافية الإفريقية، بكل ما لها من مؤشرات ومظاهر ومكوّنات سبقت الإشارة إليها في الفقرة من هذه الورقة، يلزم التسليم أيضاً بأهمية هذا التأكيد للأصالة وما يمكن أن يحققه هذا التأكيد من فوائد ونتائج إيجابية للمجتمعات الإفريقية.

ومن بين الفوائد والنتائج التي يمكن أن يحققها تأكيد هذه الأصالة للمجتمعات الإفريقية تمكن الإشارة الموجزة إلى ما يلي:

أ ـ إن تأكيد الأصالة أو الهوية الثقافية الإفريقية في مختلف مجالات الحياة ومناشطها من شأنه أن يعيد للدين قدسيته وهيبته في النفوس، ويسهم في ترسيخ

القيم الدينية والخلقية الأصيلة في واقع حياة الناس، ويجعل معيار التمشي مع تعاليم الدين وقيمه أحد المعايير الرئيسية التي يقاس بها أي تقدم أو تطور في المجتمع الإفريقي، ويسهم في الارتقاء بالإنسان الإفريقي دينياً وخلقياً، وفي تخليصه من الازدواجية التي يعيش فيها بين ما يؤمن به ويعتقده وبين ما يطبقه في حياته العامة.

ب ـ إن تأكيد الأصالة أو الهوية الثقافية الإفريقية من شأنه أن يسهم أيضاً في إحياء وتدعيم التقاليد الاجتماعية الإفريقية الأصيلة، وفي تأكيد الشخصية الإفريقية المتميّزة في عاداتها وتقاليدها، وأنماط وأساليب حياتها، وفي زيادة ترابطها الأسري والاجتماعي. كما من شأنه أيضاً أن يزيد من العطاء الفكري والثقافي والأدبي، ويرفع من مستواه ويجعله قادراً على اختراق ميدان الفكر العالمي وعلى اكتساب احترام مفكري وأدباء العالم لأصالته. وليس في تأكيد هذه الأصالة ما يتنافى مع الأخذ بأسباب التقدم والحداثة، والتفتّح على الثقافات الأخرى، والاقتباس منها كل ما هو نافع ومفيد ومدعّم للمصادر الذاتية، وبخاصة في مجال العلوم والتكنولوجيا والتنظيم والإدارة والتخطيط والبحث العلمي على أن يتم توطين وتطويع ما يتم اقتباسه وتكييفه حسب مقتضيات القيم والظروف والإمكانات الإفريقية. وينبغي أن يكون للأفارقة في اليابان مثلاً تحدٍ في تفتّحهم على الحضارة الغربية واقتباسهم واستفادتهم منها. فقد أثبتت التجربة اليابانية أنه في إمكان أي شعب أو دولة أو أمة متخلّفة أن تستورد تقنيات التصنيع الحديث وتطوّرها، وتحقق بذلك التقدم المادي الذي تنشده مع المحافظة على معتقداتها الدينية وقيمها الأساسية وتقاليدها الأصيلة، وعلى هويتها وشخصيتها الثقافية المتميّزة. ودون أن تفقد ترابطها الأسري وترابطها الاجتماعي بصورة عامة.

جـ ـ ومن جهة ثالثة، فإنَّ تأكيد الأصالة أو الهوية الثقافية الإفريقية في جميع جوانب ونظم ومناشط الحياة الإفريقية من شأنه أيضاً أن يكسب الفرد في إفريقية ثقة بالنفس وبالثقافة الإفريقية التي ينتمي إليها. ويزيد من اعتزازه بالانتماء إلى هذه الثقافة، ويحصّنه ضد تيارات وعناصر الثقافة الغربية الضارة، وضد الوقوع في مهاوي الاستلاب الثقافي والتغرّب والغربة والاغتراب الفكري

والنفسي وضد الوقوع في مهاوي القلق والاضطراب النفسي والفراغ الروحي والازدواج الفكري والهامشية في الانتماء، وبالتالي يزيد من تكيّفه مع نفسه ومع مجتمعه الإفريقي، ومع الثقافة القائمة في هذا المجتمع، ويزيد من رضائه عن نفسه وعن مجتمعه الإفريقي ومن مشاركته في شؤون حياة مجتمعه، ومن تحمّله لمسؤولياته وواجباته الاجتماعية والوطنية والقومية، ومن إنتاجيته وقدرته على العمل والابتكار، ومن استقلاله الفكري ورفضه للتبعية الفكرية والثقافية.

د ـ كما أنه من شأن التأكيد على الأصالة الثقافية الإفريقية أن يفيد المجتمع الإفريقي ككل في نواح كثيرة، وقد يكون من أهمها أنه يوفر لها الأساس الذي ينطلق منه ويقيم عليه خطط تنميته الشاملة ونظم حياته المختلفة، والذي يراعيها في جميع ما يحدثه من تجديدات وتحوّلات في حياته وفيما يقتبسه من الثقافات والحضارات الأخرى، وبذلك لا يقع في الحيرة التي وقعت فيها بعض المجتمعات الأخرى التي قلّدت مجتمعات أخرى تختلف عنها في أصولها وجذورها الثقافية تقليداً أعمى، وذلك كما فعلت تركيا الكمالية التي قلّدت الغرب تقليداً أعمى وتناست جذورها وأصولها الثقافية، ولكنها رغم تقليدها هذا لم تصبح غربية كما أُريد. بل بقيت نبتة غريبة تائهة في ضلالات لم تستطع أن تخرج منها حتى الآن.

هـ ـ إن تأكيد الأصالة الثقافية الإفريقية من شأنه أيضاً أن يجعل الشعوب الإفريقية تعي ذاتها وتاريخها، وتربط حاضرها ومستقبلها بماضيها، وتنطلق نحو مستقبلها برؤيا واضحة وخطوات ثابتة، وتثق في نفسها وفي ثقافتها، وتقف على قدم المساواة مع الشعوب الأخرى عندما تحتك بها وبثقافاتها، وتأخذ منها ما ليس عندها، وتفرّق بين الأصيل والدخيل في حياتها، وتبتعد عن التبعيّة للقديم لمجرد أنه قديم أو للحديث لمجرد أنه حديث، بل تأخذ من هذا وذاك ما يدعم ذاتيتها، ويؤكد وجودها وحاضرها، ويوجه مستقبلها، ويعزّز تضامنها ووحدتها، ويزيل الصورة المشوّهة التي يحملها الغرب عنها لأسباب تاريخية وسياسية لا مجال للحديث عنها.

كما من شأن تأكيد هذه الأصالة بالمفهوم الذي ذكرناه عند عرضنا

ومناقشتنا للنقطة الأولى من نقاط هذه الورقة أن يجعل الشعوب الإفريقية تدرك أن تمسكها بأصالتها لا يعني التخلي عن الأخذ بأسباب المعاصرة والحداثة، كما لا يعني رجوعها إلى تراثها كما هو بدون تغيير مناسب تقتضيه مسيرة الحضارة المعاصرة، والحياة الحديثة.

يقول الأستاذ أحمد مختار أمبو مدير منظمة اليونسكو السابق بصدد حديثه عن «قضية الذات الثقافية» في عرضه لخطة اليونسكو متوسطة الأجل (1984 ـ 1989م) ـ ما نصه:

«وهكذا تبدو الذاتية باطراد على أنها الشرط الحتمي لتقدم الأفراد والجماعات والأمم، لأنها هي التي تحرك الإدارة الجماعية وتشكل أساسها، وهي التي تحفز على تعبئة الموارد الداخلية من أجل العمل، وهي التي تجعل من التغيير اللازم تواؤماً خلاقاً. لذلك نرى عدداً متزايداً من التجمعات اللغويّة... والثقافيّة... تؤكد أصالتها وتعزز تضامنها الداخلي. ويبدو الدفاع عن خصوصيّتها بمثابة الخطوط الأولى في سبيل استعادة قدراتها الإبداعية وطاقاتها على الابتكار والمشاركة في عالم ينزع إلى محوها. وليس من الممكن تفسيره بأنه مجرد تنشيط جديد لقيم قديمة. فهو ينم بصفة خاصة عن سعي إلى مشروعات ثقافية جديدة تكفل استمرار رد الاعتبار للماضي من خلال الإحساس بمزيد من المسؤولية إزاء المستقبل»[13].

و ـ يُضاف إلى كل ما تقدم، أن تأكيد الأصالة الثقافية الإفريقية من شأنه أيضاً أن يدعم العلاقات الإفريقية ـ العربية، وذلك لاشتراك الشعوب العربية والشعوب الإفريقية في كثير من الأصول والمقومات الجغرافية والعرقية والثقافية والتاريخية واللغوية والدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وذلك بحكم الجوار الطبيعي والارتباط الجغرافي ليس فقط بين جنوب الصحراء وشمالها ولكن أيضاً بين القارة الإفريقية بأكملها وبين شبه الجزيرة العربية بالمشرق

(13) أحمد مختار أمبو، «المشكلات العالمية واتجاهات خطة اليونسكو متوسطة الأجل (1984 ـ 1989)»، ص1938.

العربي، وبحكم التشابه العرقي واللغوي الكبير والعلاقات الثقافية والتاريخية والاجتماعية والاقتصادية بين الشعوب العربية والشعوب الإفريقية منذ أقدم العصور وبحكم الهجرات والتأثيرات المتبادلة بين الطرفين، وبحكم روابط الدين والدم بين الطرفين، وبحكم التفاعل الثقافي والتبادل التجاري والتلاحم السياسي لفترة طويلة من الزمن في الماضي، وبحكم غير ذلك من الروابط والعلاقات والتأثيرات المتبادلة بين الطرفين التي لا يمكن أن يغفلها الباحث في التاريخ الأفريقي، وفي أصول وجذور الثقافة الإفريقية ولا الساعي لتأكيد هذه الأصالة، ومن ثمّ، فإنّنا نحن العرب نؤكّد كل جهد يبذل في سبيل تأكيد أصالة الثقافة الإفريقية، لأننا نرى في هذا التأكيد ما يدعم علاقاتنا بإفريقية حاضراً ومستقبلاً.

4 ـ التعليم بوصفه أهم عامل من عوامل تأكيد وتحقيق الأصالة الثقافية في إفريقية:

وإذا ما سلّمنا بالحاجة إلى تأكيد الأصالة الثقافية الإفريقية وبأهمية هذا التأكيد، فإنّه من حقّنا أن نتساءل: ما السبل والوسائل التي يمكن أن تساعد في تأكيد هذه الأصالة وتوصل إلى تحقيقها؟

ونحن إذ نجيب عن هذا التساؤل، لا بد أن نشير إلى أن هذه الوسائل والسبل وإن كانت كثيرة ومتنوعة، فإنَّ أهمها وأكثرها فاعليّة في تحقيق النتائج المرجوة على المدى القريب والبعيد على السواء هو التعليم الذي رأينا التركيز على بيان الدور الذي يمكن أن يقوم به في تأكيد وتحقيق الأصالة الثقافية الإفريقية. ولكن قبل بيان هذا الدور، فإنّه قد يكون من المفيد أن نشير في إيجاز وإجمال إلى بعض الوسائل والسبل الأخرى (غير التعليم) التي يمكن أن تسهم وتساعد في تأكيد الأصالة الثقافية الإفريقية.

ومن هذه الوسائل والسبل: توفير الرعاية الدينية والروحية للشباب الإفريقي وللأفارقة بعامة، وإعطاء الدين حقه من التطبيق في حياة الناس، وإبراز ما فيه من معاني الأصالة والمثل العليا ومبادئ الشورى والحرية والكرامة

والعدالة بين الناس، وتدعيم الأسرة... وحمايتها من عوامل الضعف والانحلال، ونشر لواء العدل والمساواة، وتكافؤ الفرص بين الناس، ورفع كلّ أنواع الظلم والتفرقة غير العادلة بينهم، وتضييق الفجوة الاقتصادية والاجتماعية، وتقليل الفوارق الاقتصادية إلى أقل قدر ممكن بين مختلف فئات السكان، وبين مختلف المناطق الجغرافية في البلاد، والقضاء على مسبّبات ضعف الأمة وتجزئتها من طائفية وعصبية عرقية وقبلية وإقليمية ومذهبية، وما إلى ذلك من أنواع العصبيّات المذمومة، وزيادة التضامن والتعاون والتكامل والتجانس في النظم والقوانين بين الشعوب والدول الإفريقية، تمهيداً لوحدتها في شكل من أشكال الوحدة، لما في هذه الوحدة من زيادة لقوة الأمة الإفريقية ولقدرتها على رفع الظلم عن أبنائها، ومن رفع لشأنها بين الأمم، ومن زيادة لهيبتها في نفوس أبنائها، وتقوية لانتمائهم إليها واعتزازهم بالانتساب إليها.

ومن هذه الوسائل أيضاً الاهتمام بجمع التراث الإفريقي والإسهام في توعية الجماهير الإفريقية دينيّاً واجتماعيّاً وثقافياً واقتصادياً وسياسياً في إطار القيم الإفريقية ومبادئ دينها المساوي وأصول ثقافتها الأصيلة.

هذه بعض الوسائل والسبل والعوامل التي يمكن أن تسهم إيجابياً في تأكيد وتحقيق الأصالة الثقافية الإفريقية بصورة مباشرة أو غير مباشرة. وهي على أهميتها وفاعلية دورها في تأكيد الأصالة الثقافية الإفريقية، لا تغني عن عامل التعليم ولا تحل محلّه. فالتعليم الإفريقي الصالح الموجّه في فلسفته وأهدافه وسياساته واستراتيجياته وخططه ومناهجه وبرامجه وطرائقه وأساليبه وخدماته وإرادته والعلاقة السائدة فيه نحو تأكيد وتحقيق الأصالة الثقافية الإفريقية ـ هو خير وسائل وسبل تحقيق هذه الأصالة.

ومن الوظائف والمهام الأساسية للتعليم في إفريقية التي يستطيع من خلالها الإسهام في تأكيد الأصالة الثقافية الإفريقية وفي تحقيقها هي الوظائف والمهام السبع التالية:

أ ـ الإسهام في تطبيع وتنشئة النشء الإفريقي وإكسابه قيم مجتمعه الإفريقي وعاداته وتقاليده الأصيلة، وتعريفه بالأحداث البارزة في تاريخ أمته وبالدروس والعبر التي يُمكن أن تُستفاد من الأحداث التاريخيّة التي تُقدم إليه، والتي يُمكن أن تُساعد في توجيه حياته الحاضرة والمستقبلية، وتنمي لديه روح الفخر والاعتزاز بأمته وثقافتها وتاريخها، وبما قدمه أسلافه عبر تاريخهم الطويل من بطولات وتضحيات وإسهامات ونجاحات وإنجازات في كلّ مجالات الحياة، كما تنمي لديه مشاعر الولاء والانتماء الوطني والقومي، وتزيد من ارتباطه بثقافة أمته، ومن اندماجه في هويّة أمته الثقافية المتميّزة، وذلك بالإضافة إلى ما لها من قيمة في تطبيع وتنشئة النشء، وتهيئته للحياة في مجتمعه الإفريقي بإيجابية.

ويدخل ضمن عملية التطبيع الاجتماعي أو التنشئة الاجتماعية، التي يمكن للتعليم أن يقوم بدور بارز فيها عن طريق مناهجه وبرامجه وطرائقه ومناشطه المختلفة، وما يجري في مؤسساته من تفاعلات وعلاقات، تعريف ذلك النشء الإفريقي بواجباته ومسؤولياته الاجتماعية والوطنية والقومية، وبالحقوق التي ينبغي أن يتمتع بها في مقابل تأديته لواجباته، وتنمية روح المسؤولية والإحساس بالواجب لديه، وتهيئته للأدوار التي تنتظره في مجتمعه الإفريقي.

ب ـ الإسهام في توعية وتثقيف أفراد المجتمع الإفريقي وجماعاته سواء من لا يزالون منهم يتابعون تعليمهم الرسمي، أم من أتم منهم هذا التعليم المقصود الرسمي ودخلوا في زمرة الكبار، أم من لم تُتح له فرصة التعليم المنظم أصلاً. ومن النواحي التي ينبغي أن تستهدفها هذه التوعية العامة أو التثقيف العام الذي يُعتبر أحد وظائف التعليم في المجتمع، تعريف المتعلمين وأفراد المجتمع الإفريقي بعامة بأصول دينهم وعقيدتهم الدينية وبمعطيات تاريخ ونضال أمتهم الإفريقية، وكفاحها عبر تاريخها الطويل، وبالتحديات والمشكلات التي واجهت أمتهم في ماضيها وتواجهها في حاضرها، وما يتوقع لها أن تواجهه منها في المستقبل القريب والبعيد، وتبصيرهم بحقيقة الاستعمار الغربي الذي تعرضت له أجزاء كثيرة من قارتهم، وبالمضار التي لحقت قارتهم من جراء هذا الاستعمار

وبالنتائج السلبية التي ترتبت على هذا الاستعمار وبالرواسب التي تركها في جميع جوانب حياة البلدان الإفريقية التي تعرضت لهذا الاستعمار المباشر وبالاتجاهات السلبية التي كوّنها في نفوس الناس والتي من بينها اتجاهات التبعية للثقافة، والقيم والنظم الغربية، والاغتراب والاستلاب الثقافي، وفقدان الهوية والشخصية الوطنية والقومية، والانبهار بثقافة الغرب وتقدّمه وإنجازاته، والاستسلام لمخططاته، والشعور بالنقص والدونية والضعف أمام جبروته، وضعف الثقة بالنفس، وضعف روح المقاومة للنفوذ الغربي ولتأثيراته الضارة، والاقتداء السلبي العقيم للغرب، والتقليد الأعمى لقيم وعادات المجتمع الغربي ولنظمه التعليمية والاجتماعية والتبشيرية والاقتصادية والسياسية ولنماذجه التنموية، وتبنّي الحلول الجاهزة في البلدان الغربية، بدلاً من اختراع الحلول المناسبة لقيم المجتمع الإفريقي وظروف حاجاته وإمكاناته، إلى غير ذلك من الرواسب التي تركها الاستعمار الغربي المباشر في إفريقية والاتجاهات السلبية التي كوّنها في نفوس الناس.

وممَّا ينبغي أن تستهدف تحقيقه أيضاً جهود وبرامج ومناشط التثقيف العام التي تقوم بها وتقدمها مؤسسات التعليم في المجتمع الإفريقي؛ ترسيخ القيم الدينية والخلقية والوطنية والقومية والإنسانية في نفوس المتعلمين وأفراد المجتمع الإفريقي بعامة، وتنمية روح الالتزام بهذه القيم في الحياة الخاصة والعامة، وتوسيع ثقافة المواطنين العامة، وزيادة وعيهم الديني والاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وتبصيرهم بواجباتهم ومسؤولياتهم وأدوارهم في تنمية مجتمعاتهم الإفريقية التنمية الشاملة المتكاملة في إطار القيم الدينية والثقافية الأصيلة لأمتهم الإفريقية، وإبراز أهمية التعاون والتكامل والعمل المشترك بين البلدان الإفريقية من أجل تحقيق صالحها المشترك، وإبراز أهمية الوحدة الإفريقية، والتعريف بفوائدها المتعددة، والإسهام في كل عمل يساعد على تحقيقها.

والمؤسسات التعليمية تستطيع أن تسهم في تحقيق ما تقدم عن طريق مناهجها ومناشطها المختلفة، التي تتم داخل الفصول الدراسية وفي الساحة

المدرسية، وعن طريق ما تسهم به في برامج تعليم الكبار ومحو الأمية، وعن طريق ما تنظمه من محاضرات وندوات عامة لأهل المنطقة التي توجد هي فيها، وما تسهم به في حملات التوعية الثقافية والاجتماعية، وما تقوم به مراكز البحث العلمي التابعة لها من أبحاث ودراسات تتعلّق بمختلف المشكلات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، وتفيد بمعطياتها في عمليات التوعية وفي عمليات التغيّر والتحول الثقافي والاجتماعي.

جـ ـ المحافظة على التراث الإفريقي الأصيل وعلى ما يتضمنه هذا التراث من قيم ومعان خلقية وتقاليد أصيلة، وتنقية هذا التراث مما عسى أن يكون قد لحق به في فترات الضعف والانحدار، وتعزيزه وتدعيمه وتنميته وتطويره وتجديده باستمرار، ونقل الصالح منه إلى الأجيال الإفريقية الصاعدة لربطها بتراث وتاريخ وقيم أمتها، وتشجيع الأبحاث والدراسات وإقامة المؤتمرات والندوات والمهرجانات ذات العلاقة بالتراث، والتوسع في تحقيق المخطوطات والكتب التراثية التي لم تحقق بعد، والعمل على نشر ما يتم تحقيقه، وعلى إعادة طبع ما سبق طبعه من كتب الأصول في ثوب جديد.

كل ذلك بقصد إحياء هذا التراث في النفوس، وتعزيز الذاتية الثقافية الإفريقية والحفاظ عليها، لأن الحفاظ على هذه الذاتية أو الهوية الثقافية، ليس مطلباً قومياً فحسب، بل هو مطلب تنموي أيضاً، يتصل بتوفير الشروط السليمة اللازمة للتنمية عامة، بما في ذلك التنمية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية. وهو أيضاً مطلب من مطالب الاستقلال الثقافي الذي يعتبر رأس كل استقلال.

ولكن على التعليم وهو يحافظ على التراث وعلى إحيائه وربط الحاضر به، ألاّ يبالغ في تقديره، وألاّ يضفي عليه طابعاً مثالياً، وألاّ يشجع الناس على الجمود عنده والاعتماد عليه كليّة، والاكتفاء بالتغنّي بما تضمنه من إنجازات وأمجاد، بل عليه أن يساعد على الكشف عمّا في ذلك التراث من أصول للعلوم الحديثة، وإبداعات وجذور للحضارة الحديثة، وأن يعمل على تحقيق الانسجام والتوافق بين المحافظة على الذات الثقافية الأصيلة، وبين التقدم العلمي والتقني الذي يُعتبر من القوى الرئيسية في التحديث الثقافي والاجتماعي، وأن يعمل على

تشجيع الإبداع الثقافي والفكري والأدبي والفني، وعلى إغناء وإثراء الثقافة الإفريقية وتطويرها وتجديدها وتوسيع مجالها الحيوي، وعلى توسيع دائرة الثقافة الإفريقية العامة، بما يجعلها إطاراً مرجعياً لجميع الثقافات الفرعية في إفريقية، يؤكد مبدأ الوحدة من خلال التعدد.

د ـ تيسير تعليم اللغة العربية على النشء الإفريقي المسلم، وتدعيم مركزها في الثقافة الإفريقية وفي المجتمعات الإفريقية، وبخاصة المجتمعات الإسلامية منها، وذلك باعتبارها لغة القرآن الكريم، ولغة رسول الإسلام محمد الأمين ﷺ، واللغة التي دونت بها السنة النبوية المطهرة التي جاءت شارحة ومفسّرة ومفصّلة ومبيّنة ومخصصة ومقيّدة لما تضمنته نصوص القرآن الكريم، واللغة التي احتوت جلّ الثقافة الإسلامية الأصيلة، ودوّن بها جلّ التراث الإسلامي ونفائس الفكر الإسلامي في عصور ازدهاره، وهي النفائس التي لا يمكن فهم محتوياتها بعمق بدون الإلمام الكافي باللغة العربية. وبفضل ما تملكه هذه اللغة من قوة وبيان وجمال ومرونة، وقدرة على استيعاب أحدث الأفكار والتجارب الثقافية والحضارية، ومن خصائص متنوعة كالاشتقاق والترادف والقياس، وما إلى ذلك من الخصائص والإمكانات.

إن العربي الذي يدعو إلى تدعيم مركز اللغة العربية وتيسير تعلّمها في إفريقية لا يدفعه إلى دعوته هذه تعصبه للعرب أو للثقافة العربية، وإنما الذي يدفعه هو غيرته على الدين الإسلامي والعقيدة الإسلامية، ورغبته في أن يرى إخوته في إفريقية، وقد تمكنوا من فهم تعاليم دينهم وفكرهم الإسلامي الأصيل في لغته الأصيلة، ومن ممارسة عباداتهم وشعائرهم الدينية على الوجه الصحيح السليم الذي لا يمكن أن يتحقق بدون الإلمام الكافي باللغة العربية. إذ لا يستطيع المسلم في إفريقية أو في غيرها أن يصلّي بغير تكبيرة الإحرام باللغة العربية، وبغير قراءة الفاتحة باللغة العربية، أو يحرم في الحج أو يلبّي بغير اللغة العربية، أو أن يتلو القرآن وتُعتبر تلاوته عبادة بغير اللغة العربية. ومن ثم، فإنّ من يدعو إلى تدعيم اللغة العربية في إفريقية المسلمة فإنّما يدعو لذلك، لأن هذه اللغة هي لغة القرآن أولاً، ولغة السنة ثانياً، ولغة العبادات الإسلامية ثالثاً،

ولأنها الوعاء الفكري لجانب كبير من التراث الإسلامي والفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية رابعاً، ولأنها العنصر الهام والمؤثر في وحدة المسلمين وتقوية الروابط بين شعوبهم وربط حاضرهم بماضيهم خامساً[14].

وتعلّم اللغة العربية في إفريقية ـ بجانب كونه واجباً دينيّاً على كل مسلم إفريقي ـ أمر يحتمه تأكيد أصالة الثقافة الإفريقية والعلاقة الوثيقة بين الثقافة الإفريقية واللغات الإفريقية وبين الثقافة العربية واللغة العربية، والتأثير المتبادل بين الطرفين التوأمين المتكاملين. وتعتبر اللغة العربية إحدى اللغات الإفريقية، بل أكبر هذه اللغات وأقدمها كتابة. وقد ظلّت لغة العلم والثقافة لأكثر من ثمانية قرون، حتى مطلع هذا القرن. وحوالي ثلاثين لغة إفريقية كانت تُكتب بالحرف العربي. ومن بينها كُبريات اللغات الإفريقية التي تتكلّمها عشرات الملايين اليوم في إفريقية. من بين هذه اللغات: لغة الهوسا التي يتحدث بها في نيجيريا والنيجر والكمرون وغانا وجزء من السودان وبلاد أخرى، ويزيد عدد المتكلّمين بها على خمسين مليون نسمة. واللغة السواحيلية التي يتحدث بها في تنزانيا وكينيا ويوغندا والكونغو، ويبلغ عدد المتحدثين بها نحو خمسين مليوناً، ولغة الفلاني بلهجاتها المختلفة التي يتحدث بها في المنطقة التي تمتد من السودان حتى السنغال، ويتكلم بها ما بين خمسة وستة ملايين نسمة، ولغة مانديكان التي تلي الهوسا والسواحيلي والفولاني في الانتشار، ويتحدث بها في سيراليون وغانا وليبيريا وفولتا العليا وغينيا، واللغة الصومالية التي يتحدث بها في الصومال وجزء من كينيا وجزء من الحبشة.

«وعلى الرغم من أن الاستعمار شرع منذ أن وطئت أقدامه أرض إفريقية يوجه حرباً ضد الإسلام عقيدة ولغة وحرفاً، وأحل الحرف اللاتيني محل الحرف العربي لكتابة هذه اللغات، فقد قاوم الحرف العربي وصمد ضد هذه الحروب طوال القرون الأربعة الماضية. . .

وما زالت هذه اللغات ـ فيما عدا القليل منها ـ تُكتب بالحرف العربي

---

(14) ينظر: محمد أبو زهرة، الوحدة الإسلامية. بيروت: دار الرائد العربي، (بد. ت)، ص219، 275 ـ 286.

والآن تُكتب بها العقود والمواثيق بين الناس، وبها تُكتب العلوم الإسلامية وشرح التفسير والحديث، وبها يُكتب الشعر، بل إن الطفل الإفريقي المسلم يفتح عينيه على الحرف العربي من نعومة أظافره قبل أن يفتحه على الحرف اللاتيني، وإذا فاته ذلك فقد يدركه في حلقات محو الأمية»[15].

وفي إطار جهود المؤسسات التعليمية والبحثية الإفريقية الرامية إلى تيسير وتدعيم اللغة العربية في إفريقية المسلمة، ينبغي مضاعفة الجهود وتشجيع البحوث الرامية إلى تقنين الكتابة بالحروف العربية، وتوحيد الرموز التي تُكتب بها اللغات الإفريقية التي لا تزال تستخدم الحرف العربي، حتى يكون النظام الكتابي عالمياً، وإضافة رموز عربية جديدة تعبّر عن الأصوات والحركات التي لا توجد في اللغة العربية، وتحديد النظام الهجائي الأمثل لأصوات اللغات الإفريقية، وتحسين الخط العربي الذي تُكتب به اللغات الإفريقية من الناحية الجمالية، واتخاذ التدابير اللازمة لصنع مفاتيح للآلة الكاتبة للحروف الخاصة باللغات الإفريقية ولعمل حروف طباعة للحروف المقترحة[16]، والرامية أيضاً إلى عمل المعاجم اللازمة من اللغة العربية إلى اللغة الإفريقية الرئيسية ومن اللغات الإفريقية إلى اللغة العربية، لأن هذه المعاجم لها نفع متبادل للأفارقة والعرب على حد سواء، فكما تيسّر تعلّم اللغة العربية على الأفارقة، فإنّها تيسر أيضاً تعلُّم اللغات الإفريقية على العرب.

هـ ـ والوظيفة والمهمة الخامسة للنظم والمؤسسات التعليمية الإفريقية التي تهمنا في هذه الورقة هي تجديد الكتاتيب أو المدارس القرآنية التقليدية التي توجد في كثير من البلدان والمجتمعات الإفريقية، وإعادة الحياة إليها من جديد، وتجديد وتطوير مبانيها وأجهزتها وأثاثها، وتطوير مناهجها وبرامجها ووسائلها التعليمية، بحيث تشمل مناهجها ـ بجانب تعليم الكتابة والقراءة وتعليم القرآن الكريم ـ تعليم المواد الأساسية التي تعلّم عادة في مدارس المرحلة الابتدائية

---

(15) ينظر: د. يوسف الخليفة أبو بكر، «الحرف العربي واللغات الإفريقية»، بحث قُدم في ندوة: العلاقة بين الثقافة العربية والثقافات الإفريقية. مصدر سبق ذكره، ص167 ـ 180.

(16) نفس المرجع السابق، نفس الصفحات.

الحديثة. كذلك الاهتمام بتحسين وتطوير أساليب إعداد معلميها قبل الالتحاق بالعمل، ثم تعهدهم بالتدريب المستمر أثناء الخدمة، بحيث تشمل برامج إعدادهم وتدريبهم ـ بجانب حفظ القرآن الكريم والإلمام بضبطه ورسمه وتجويده وبعض علومه الأخرى ـ إعدادَ أكاديمياً وثقافياً مناسباً وبعض أسس المجتمع المحلي[17].

ومطالبتنا بضرورة الاهتمام بتجديد وتطوير المدارس القرآنية التقليدية ليس فقط للاعتراف بالدور الهام الذي قامت به في الماضي في المحافظة على القرآن الكريم، وعلى اللغة العربية والخط العربي، وعلى التراث الإسلامي والثقافة الإسلامية، وعلى الهوية الثقافية الإسلامية للشعوب الإفريقية المسلمة خلال عهود الاستعمار المباشر، التي حاول فيها المستعمرون الغربيون طمس معالم الثقافة الإسلامية، ومحاربة اللغة العربية والحرف العربي الذي كانت تُكتب به اللغات الإفريقية، ولكن أيضاً لإمكانية الاستفادة منها كمدارس ابتدائية ريفية، وكمراكز لمحو الأمية وتعليم الكبار، ولتنمية البيئة المحليّة، والاستفادة منها في التقليل من تكلفة التعليم، وفي نشر التعليم على نطاق أوسع، وبخاصة في الريف الإفريقي المسلم.

و ـ والوظيفة السادسة للتعليم في إفريقية التي لها صلة بتأكيد الأصالة الثقافية الإفريقية هي بناء الوعي بأهمية العلاقات الثقافية بين الشعوب الإفريقية والشعوب العربية، وإبراز وشائج القربى والأصول الحضارية المشتركة وعلاقات الارتباط المتين بين الأفارقة والعرب عبر مختلف العصور والأزمان، وتشجيع وتدعيم التعاون والتبادل العربي الإفريقي في شتى المجالات الثقافية والاقتصادية والسياسية، على أساس من الأصول الثقافية والحضارية المشتركة، والقيم المتماثلة، والمصالح المشتركة للشعبين الإفريقي والعربي، وكشف الآثار السلبية للاستعمار الغربي على العلاقات العربية الثقافية، وكشف التشويه المتعمد للتاريخ المشترك، وترويج الأفكار الخاطئة عن الروابط التاريخية بين

---

(17) ينظر: د. عبد القادر يوسف، دراسات في إعداد وتدريب العاملين في التربية. الكويت: دار السلاسل، 1987، ص22 ـ 23.

المجموعتين العربية والإفريقية. فالعلاقات الثقافية العربية الإفريقية كانت ولا تزال عبر مختلف العصور حقيقة تاريخية لا يمكن إنكارها ولا تجاهلها. لكنها رغم ذلك «تعرضت لتعتيم منهجي ولتشويه منظم، ولتخريب مقصود. وقد تم كل ذلك. . . باسم البحث عن الحقيقة، خدمة لأهداف سياسية، وتزكية لمطامع عدوانية سخر لها النظام الاستعماري الأوروبي خلال أربعة قرون: السلاح، والعلم، والدين، والإدارة. فبدأ التحريف التاريخي في العلاقات الحضارية بين الوطن العربي والعالم الإفريقي، فصورهما على أنهما نمطان متعارضان، ثم ابتدعت فكرة الزنوجة ومحاولة غلق الوجود الإفريقي وحبسه في إطار فلكلوري، وتصويره في صور سياحية، يرى فيها الأوروبي متحفاً للغرائب الاستوائية. . .»[18].

ولتأصيل العلاقات العربية الثقافية، والكشف عن جذورها التاريخية وبيان مختلف العوامل الجغرافية والبشرية والثقافية والاجتماعية والدينية والاقتصادية المتفاعلة فيما بينها التي أسهمت في توحيد وترسيخ هذه العلاقات عبر مختلف العصور وفي مختلف مراحل تطورها، ولتقييم هذه العلاقات عبر مختلف العصور وتحديد إيجابياتها وسلبياتها، وتخليص ما كُتب عنها من الكذب والافتراء والتزوير والتشويه المتعمد، وإلصاق التهم الباطلة، فإنَّه ينبغي إعادة كتابة تاريخ إفريقية السياسي والثقافي والاقتصادي والاجتماعي بعامة، وتاريخ العلاقات العربية الإفريقية بخاصة، على أساس من العلمية والموضوعية، وبمنطق ومنهج علميين حديثين يقومان على الأمانة العلمية والصدق العلمي والموضوعية والنزاهة العلمية، والنظرة الكليّة والتكاملية إلى الأحداث والوقائع التاريخية، وإلى العوامل التي أثرت في هذه الأحداث والوقائع، والنظرة إلى الجزء في إطار الكل، وتصوير حلقات الماضي على أنها مراحل متعاقبة وليست مجرد مشاهد متزامنة والروح النقدية العقلانية، واستخدام المقاييس العلمية الحديثة التي تعتمد على الإثباتات التاريخية، وعدم الإصرار على تنزيه تاريخنا

(18) محي الدين صابر، العلاقة بين الثقافة العربية والثقافات الإفريقية، مرجع سابق، نفس الصفحات.

وعلاقاتنا من الشوائب والسلبيات إن وُجدت، مع بيان ظروفها وملابساتها ووضعها في إطارها السليم، وذلك مثل شائبة الرق، أو بالأحرى شائبة النخاسة، التي تورط فيها بعض العرب والأفارقة مخالفين بذلك تعاليم دينهم وعقيدتهم الدينية والتي كانت تمثل مرحلة تاريخية اقتضاها تطور النظام الرأسمالي الأوروبي، ولم تكن القلة التي تورطت فيها من العرب والأفارقة سوى إحدى الأدوات التي اعتمد عليها هذا النظام في استجلاب الأفارقة. وتجب إدانة هذه القلة بكل شدة وقسوة.

ز ـ والوظيفة السابعة للتعليم في إفريقية التي لها صلة أيضاً بتأكيد الأصالة الثقافية الإفريقية، وفي الوقت نفسه لها صلة أيضاً بتأكيد المعاصرة أو الحداثة في الثقافة الإفريقية، تتمثل في مساعدة البلدان والمجتمعات الإفريقية على الأخذ بأسباب العلم والتقنية الحديثة، وعلى تنمية القدرة الذاتية في مجال العلم والتقنية، مع الاحتفاظ بشخصيتها الثقافية والحضارية، وعلى تنمية الفن الإنتاجي الخاص بها الذي يتمشى مع إمكاناتها المالية وظروفها السكانية والاجتماعية والاقتصادية، ويساعدها على زيادة إنتاجها بمعدلات تفوق معدلات استهلاكها، وعلى مسايرة التقدم العلمي والتقني في المجتمعات المتقدمة، وعلى تطوير نموذجها الخاص بها في التنمية الذي يتفق مع ظروفها وإمكاناتها الذاتية ومع قيم المجتمع الإفريقي وثقافته الخاصة. إن خير أنواع التنمية هي التنمية الشاملة التي تنبع أساساً من الداخل، وتعتمد على استثمار الموارد الداخلية للمجتمع، وتتم على أيدي أبناء الأمة، وبمشاركة جميع من لها عندهم معنى، وبانسجام مع القيم الثقافية للمجتمع الجديرة بالاحترام. هذا مع العلم بأن القيم الثقافية الإيجابية الجديرة بالاحترام والمراعاة تقوم بدور أساسي في النمو الاقتصادي والاجتماعي للمجتمع، من حيث إنها مصدر البواعث للإسراع بالنمو والأساس لتدبير أهداف هذا النمو[19].

ويدخل في إطار هذه الوظيفة للتعليم الإفريقي أيضاً: مساعدة الأفارقة على غربلة ما تخرجه مراكز البحث العلمي ومؤسسات العلم العالمية وانتقاء

---

(19) ينظر: فرانسوابيرو، فلسفة لتنمية جديدة. (مترجم عن الفرنسية)، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1983، ص21، 52.

عناصره الصالحة والمناسبة لمجتمعاتهم، واستبعاد غير الصالح وغير المناسب منه، وعلى نقل التكنولوجيا الحديثة، وعلى توطينها وتطويعها حسب احتياجات ومتطلبات ومقتضيات المجتمعات الإفريقية، وعلى بناء جيل جديد من العلماء والمهندسين والمهنيين الجيّدين القادرين على حمل رسالة العلم والعمل وعلى الانسجام مع مجتمعهم الإفريقي المباشر، وعلى الاندماج في المجتمع العلمي الدولي. كما يدخل في إطار الوظيفة أيضاً توفير المناخ العلمي المشجع على البحث العلمي، وتوفير الحوافز المادية والمعنوية للعلماء والباحثين العلميين للحيلولة دون هجرتهم إلى الخارج، ووقف نزيف الكفاءات العلمية والتقنية من البلدان الإفريقية والآسيوية ومن البلدان النامية عموماً بتقليل عوامل الجذب التي توفرها البلدان المتقدمة إلى هذه الكفاءات، وتوفير فرص العمل المناسبة لهم، وتوفير فرص التقدم العلمي والترقي الوظيفي أمامهم، وإتاحة الفرص أمامهم للدخول إلى المراكز التي تتلاءم مع مستوى إعدادهم وخبرتهم على أساس من الكفاءة، ومساعدتهم على الحصول على المرتب اللائق والمسكن المناسب وعلى القدر الضروري من السلع الاستهلاكية التي تعوّدوا عليها أثناء فترة دراستهم وتدريبهم في الخارج، إلى غير ذلك من الحوافز المادية والمعنوية التي تساعد على الحفاظ على الكفاءات الوطنية الإفريقية في بلادها، وتحول دون هجرتها إلى الخارج، لما في هذه الهجرة من استنزاف لموارد البلد المهاجر منه، ومن الاغتراب والاستلاب الذي يعانيه المهاجرون في مهجرهم من تشبع بالقيم الغربية، وضعف في الارتباط بمجتمعاتهم الإفريقية الأصلية، وبتغلّب النزعة الفردية والتنافسية لديهم، ونمو الذوق الترفي المتزايد لديهم في السكن وفي مختلف أساليب الحياة.

5 ـ شروط ومقومات التعليم الذي يمكن أن يكون عاملاً من عوامل تأكيد وتحقيق الأصالة الثقافية في إفريقية:

يستطيع التعليم في إفريقية أن يسهم في تأكيد وتحقيق الأصالة الثقافية الإفريقية، لكنه لا بد أن تتوافر فيه شروط وخصائص وصفات ومقومات معيّنة

تؤهله للقيام بهذا الدور الهام والخطير. ومن بين هذه الشروط والخصائص والمقومات يمكن أن نشير في إيجاز بالغ إلى ما يلي:

أ ـ أن يتخذ من التراث الإفريقي الأصيل، ومن الثقافة ومن الإسلام بالنسبة للأفارقة المسلمين وما فيها من قيم مبثوثة ومبادئ إنسانية لها قيمة توجيهية في الحياة، مصادر أساسية لفلسفته والمبادئ والمنطلقات العامة التي ينطلق منها لتحديد أهدافه وسياساته واستراتيجياته، واختيار محتويات مناهجه وبرامجه، واختيار طرائقه وتحديد خدماته، وذلك بالإضافة إلى مصادر أخرى كثيرة ينبغي أن يستفيد منها التعليم الإفريقي في بناء فلسفته. ويتأتى في مقدمتها العلوم النفسية والتربوية والاجتماعية والعلوم السلوكية والإنسانية بصورة عامة، ومتطلبات الحياة الحديثة وكل ما هو صالح ونافع ومناسب للحياة الإفريقية في الثقافات والمجتمعات الأخرى. فبالإضافة إلى الاعتماد على المصادر الذاتية في بناء فلسفة التعليم الإفريقي؛ فإنّه لا بد لهذا التعليم في بناء فلسفته من التفتح على جميع الثقافات والحضارات الخارجية، والاستفادة من كل ما هو صالح ونافع من معطياتها، ومن نبذ التعصب بجميع أنواعه العرقية واللونية والقبلية والطائفية والقومية والفكرية والأيديولوجية.

ب ـ أن يؤكد في فلسفته وأهدافه وسياساته واستراتيجياته ومخططاته ومحتويات مناهجه وإدارته، والعلاقات السائدة فيه، القيم الديمقراطية والإنسانية الأصيلة التي تعلي من شأن كرامة الفرد والمواطن الإفريقي ومن قيمته في الحياة، وتؤكد حقه في الأمن والتقدير والاحترام وتأكيد الذات، وفي المعاملة العادلة، وفي الفرص المتكافئة مع غيره من المواطنين، وفي حرية الرأي والتعبير والحركة، وفي المشاركة الإيجابية الحرة في شؤون مجتمعه، وتعترف بالفروق الفردية بين الناس وبالتنوع الثقافي والعرقي واللغوي في المجتمع. إلى غير ذلك من خصائص الديمقراطية بوصفها طريقة وأسلوب في الحياة.

جـ ـ أن يهتم في أهدافه بتكوين الشخصية المتكاملة والمتوازنة في نموها، والقادرة على تحمل مسؤولياتها في تنمية مجتمعها الإفريقي والتي تجمع بين العلم والإيمان، وبين العلم والعمل، وبين الفكر والتطبيق، وبين الاهتمام

بمصالحها الفردية، والاهتمام بمصالح المجتمع الذي نعيش فيه، وبين الأصالة والتجديد في أفكارها واتجاهاتها، وبين المحافظة على الهوية الإفريقية وما يرتبط بها من قيم وعادات وتقاليد أصيلة، والتفتح الواعي والمتبصر على كل ما هو نافع ومفيد في العالم الخارجي، وبين قبول التنوع الديني والثقافي واللغوي والعرقي في المجتمع الإفريقي، والإيمان بالوحدة في الهوية الثقافية الإفريقية العامة، والإسهام الفعال في تأكيد وتحقيق هذه الوحدة.

د ـ أن يربط في مناهجه ومناشطه المختلفة دراسة التراث بالواقع المعاش، والحياة الحاضرة، ويختار من هذا التراث ما يتمشى مع الواقع ويخدمه ويفيد منه ويوجه تطوره المستقبلي، لأن الواقع لا يستطيع أن يستوعب من التراث إلاّ ما كان ملائماً ونافعاً له. كذلك لا بد للتعليم الإفريقي من أن يربط في مناهجه وبرامجه الفكر بالواقع المادي والمعنوي للمجتمع الإفريقي وللعالم الخارجي المحيط به، لأن الفكر الذي لا يرتبط بالواقع، ولا يأخذ في حسبانه الظروف الموضوعية الملموسة لهذا الواقع، ولا يوجه إلى تغيير وتطوير هذا الواقع إلى ما هو أفضل وإلى العمل النافع، ولا يدفع إلى العمل الجاد والخلق والإبداع والتطور المستمر هو فكر ناقص. كذلك لا بد لهذا التعليم من إحداث التوازن المرغوب بين الدراسات التراثية والإنسانية والعلوم الطبيعية والتطبيقية، وبين النظرية والتطبيق.

هـ ـ أن يؤكد في طرائقه وأساليبه الحرص على إشراك المتعلم في العملية التعليمية، وعلى تنمية قدراته على الخلق والإبداع والتفكير العلمي المستقل، وعلى الجدل العلمي الموضوعي والحوار الحر الموضوعي البعيد عن العنف، وعلى التوفيق لا التلفيق بين المواقف والآراء المختلفة، وعلى الغوص في دراسة الظواهر، ومحاولة الوصول من وراء ذلك إلى بواطن الأمور، ومعرفة كهنها، وعلى تحليل الواقع تحليلاً يهدف إلى الكشف عن بُنيته وإلى استخراج ثوابته ومتغيراته، وعلى ربط الفكر بالواقع والتطبيق العملي وعلى التعلم الذاتي. وأن يؤكد أيضاً على القدوة الحسنة، ويراعي الفروق الفردية بين المتعلمين، ويأخذ بمبادئ الديمقراطية والعلاقات الإنسانية والتعاون والشورى في إدارته وفي ضبط

النظام في مؤسساته، ويأخذ بجميع مبادئ التربية الحديثة، لكن بدون أن يفتقد نقطة البدء، ودون أن ينفصل عن ثوابت ثقافته الأصلية، وعن الطابع المميّز لهويته الإفريقية.

المراجع

1 ـ د. إحسان عباس، «الأصالة في الثقافة القومية المعاصرة»، في وقائع ندوة: القومية العربية والإسلام. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1981، ص441 ـ 459.

2 ـ د. أحمد الشرباصي، موسوعة أخلاق القرآن. بيروت: دار الرائد العربي، 1971.

3 ـ أحمد مختار أمبو، «المشكلات العالمية واتجاهات خطة اليونسكو متوسطة الأجل: 1974 ـ 1989»، مجلة التربية الجديدة. السنة التاسعة، العدد السادس والعشرون (أغسطس، 1982 ـ 1983)، ص4 ـ 55.

4 ـ أنور الجندي، الأصالة. تونس: دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع، (بد. ت).

5 ـ د. حسن حنفي، «الأصالة والمعاصرة»، مجلة المستقبل العربي، السنة الرابعة، العدد التاسع والعشرون، (يوليو 1981)، ص129 ـ 138.

6 ـ حلمي شعراوي، «قراءة جديدة لوقائع العلاقات بين حركتي التحرر الوطني العربية والإفريقية» مجلة المستقبل العربي، السنة الثانية، العدد العاشر، (نوفمبر 1979) ص60 ـ 95.

7 ـ د. سعدون حمادي، «الوحدة ومبدأ النضال: الوطن العربي وإفريقية»، مجلة المستقبل العربي. السنة الثانية، العدد العاشر، (نوفمبر 1979)، ص103 ـ 113.

8 ـ د. سليمان كيجوندو، «الاستعمار الثقافي في إفريقية (جنوب الصحراء)» في وقائع ندوة: العلاقة بين الثقافة العربية والثقافات الإفريقية. تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1985، ص138 ـ 141.

9 ـ د. طاهر حمدي كنعان، «البعد الاقتصادي للعلاقات العربية الإفريقية المعاصرة»، مجلة المستقبل العربي، السنة السادسة، العدد الثالث والخمسون (يوليو 1983)، ص64 ـ 77.

10 ـ د. عبد اللّه عبد الدايم، «المسألة الثقافية بين الأصالة والمعاصرة»، في وقائع ندوة: التراث وتحديات العصر في الوطن العربي: الأصالة والمعاصرة. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1987، ص687 ـ 714.

11 ـ د. عبد العزيز كامل، «العروبة والحضارات الإفريقية في منظور جديد» في:

محاضرات الموسم الثقافي لمعهد الدراسات والبحوث الإحصائية ومركز الحاسب العلمي، في العام الجامعي 71/ 1972. القاهرة: المعهد المذكور، 1971، ص47 ـ 87.

12 ـ د. عبد القادر يوسف، دراسات في إعداد وتدريب العاملين في التربية. الكويت: دار السلاسل، 1987.

13 ـ د. عبد الحسن زلزلة، «محاولة لتقييم التعاون العربي الإفريقي وآفاقه»، مجلة المستقبل العربي. السنة الثالثة، العدد الخامس عشر، (مايو 1980)، ص58 ـ 67.

14 ـ محمد أبو زهرة، الوحدة الإسلامية. بيروت: دار الرائد العربي، 1978.

15 ـ د. محمد عابد الجابري، «إشكالية الأصالة والمعاصرة في الفكر العربي الحديث والمعاصر: صراع طبقي أم مشكل ثقافي؟»، في وقائع ندوة: التراث وتحديات العصر في الوطن العربي: الأصالة والمعاصرة. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1987، ص29 ـ 58.

16 ـ د. محمد عزيز الجباني، «تعليقه على محاضرة د. الطيب تيزيني، التي كانت بعنوان: إشكالية الأصالة والمعاصرة في الوطن العربي» في ندوة التراث السالفة الذكر، صفحات التعليق: ص99 ـ 110.

17 ـ د. محي الدين صابر، «العلاقة بين الثقافة العربية والثقافات الإفريقية» في وقائع ندوة العلاقة بين الثقافة العربية والثقافات الإفريقية، مرجع سبق ذكره، ص7 ـ10.

18 ـ فرانسوا بيرو، فلسفة لتنمية جديدة. (مترجم عن الفرنسية)، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1982.

19 ـ د. يوسف الخليفة أبو بكر، «أثر الحرف العربي على اللغات الإفريقية»، في ندوة: العلاقة بين الثقافة العربية والثقافات الإفريقية. مرجع سبق ذكره، ص167 ـ180.